جامعة غرداية
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

محاضرات في مادة
المغرب العربي الحديث
السنة الثانية ل م د

إعداد
الدكتور: بن قومار جلول

الموسم الجامعي 2016-2017



المحاضرة الأولى:

الإشكالية: ماالمقصود بالعصور الحديثة عند المؤرحين؟

ماهي مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأقصى-الجزائر-تونس-طرابلس الغرب في العصر الحديث؟

معنى العصور الحديث:

درج المؤرخـون الغربيـون، و بالـذات الأوروبيـون مـنهم علــى تسمية القرون الثلاثـة التـي تلت القرن الخـامس عشر الميلادي، و هـي

القـرن السـادس عشـر و القـرن السـابع عشـر و القـرن الثـامن عشـر بالعصور الحديثة، و على تسمية ما تلاها من القرون بالمعاصرة،نظرا للتطورات الهامـة التـي شـهدتها القـارة الأوروبيـة، و خاصـة فـي قسـمها الغربـي، فـي مختلف المجـالات، و جوانـب الحيـاة خـلال القـرون الثلاثـة المذكورة، و لا سيما خلال الحقبة المعاصرة التي غدت التطورات فيها تجري بخطوات أسرع وأعمق، و أوسع، وأشمل.

ومع أن تاريخ العرب في المغرب و المشرق لم يشـهد تطـورات مماثلـة لتلك التـي شـهدتها أوروبـا الغربيـة ثم أمريكـا الشـمالية أيضـا فـي العصور الحديثة و المعاصرة، فإن المؤرخين العرب جاروا نظراءهم الأوروبيين فـي تقسيم القرون الخمسـة التـي تلت القرن الخـامس عشـر الميلادي/التاسع عشر الهجري إلى مرحلتين أساسيتين : فسموا الأول بالعصـور الحديثـة و تشـمل القـرون 10، 11،12 الهجريـة الموافقـة للقرون16، 17، 18 الميلادية، و سموا الثانية بالمعاصرة، و تشمل القرنين 19 و20 الميلاديـين، و مـا يوافقهـا مـن القـرون الهجريـة و هـي 13- 14- 15معتبرين أن تاريخ العرب الحديث أو المعاصر مجرد مرحلـة زمنيـة، تواكب المرحلة الزمنية التي اصطلح المؤرخون الغربيون على تسميتها بالحديثة أو المعاصرة، و لو لم تحمل تلك القرون في طياتها حديثا، أو تطورا ذا بال فـي هذه المرحلـة أو تلك، لأن عدم غض النظر عن ذلك يوجب علـى المؤرخين العرب أن يوجدوا تقسيما أو أكثر يتناسب مع تطـور بلـدانهم، و لـن يتوافـق ذلـك حتمـا مـع تقسيم المـؤرخين الغـربيين المذكور.

إن التفـاهم بـين المـؤرخين العـرب، و الغـربيين و غيـرهم يغـدو عسيرا أو غير ممكن إذا كان لمؤرخي كل بلد أو أكثر تقسيماتهم الزمنية للماضـي، و مصـطلحاتهم المختلفـة مـع غيـرهم. والشـائع أن العصـور الحديثة تبدأ من فتح القسطنطينيةعام 1453[1]. وسقوط الأندلس واكتشـاف الأمريكيتين عام 1492 والإصلاح البروتستانتي الذي قام به مارتن لـوثر (Martin Luther)عام 1517.

1- مصادر تاريخ المغرب الأقصى في العصر الحديث:

-التمجروتـي علـي بـن محمـد:**النّفحـة المسكية فـي السـفارة التركيـة 1589**، تحقيـق وتقديم محمد الصالحي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي الإمارات 2007.

---

[1] جلال يحي:**تاريخ أروبا في العصور الحديثة**،ط1981،الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية،مصر،ص40

- الجنابي مصطفى:**البحر الزخار والعلم الطيار**،ترجمه للفرنسية فانيان،تحت عنوان Fagnan :**Extraits inédits relatifs au Maroc**, alger1924.

-الحجري أحمد بن قاسم أفوقاي:**رحلة أفوقاي (مختصر رحلة الشهابإلى لقاء الأحباب) 1611م/1613م**، تحقيق محمد رزوق،ط1، السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، د ت.

-دي صالدانيا أنطونيو:**أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب**،تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وآخرون،مكتبة الرباط نت،المغرب2011.

- دي طوريس دييكو:**تاريخ الشرفاء**،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،الحي الصناعي لتاربريكت،الدار البيضاء 1988.

-أبو راس الناصري محمد بن أحمد:**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق مجمد غالم،مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية،وهران 2005.

- الريفي عبد الكريم بن موسى:**زهر الأكم**،دراسة وتحقيق آسيةبنعدادة،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1992.

-الزياني أبو القاسم أحمد:**تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1429هـ/2008م.

-**الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**،ترجمه للفرنسية هوداس،المطبعة الوطنية،باريس 1882م.

- **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ المولى سليمان**،تقديم وتحقيق عبد المجيد حيالي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان2003 م.

- **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**،دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، ط1، مركز الدراسات والبحوث العلوية، مطبعة المعارف الجديدة،الرباط.

- السّعدي عبد الرحمن بن عبد الله:**تاريخ السودان**،طبعه هوداس، المكتبة الأمريكية والشرق، باريس 1981.

-الضّعيف محمد الرباطي:**تاريخ الضّعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**،تحقيق أحمد العماري،ط1،دار المأثورات الرباط 1986.

-ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط:**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النظام،ط1،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، المغرب 1997 .

-الغساني محمد الأندلسي:**رحلة الوزير في إفتكاك الأسير**، تحقيق نوري الجراح، ط 1،دار السويدي، أبو ظبي 2002.

-الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972 .

-القادري محمد بن الطيب:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثان**، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق (موسوعة أعلام المغرب)،ط1،دار الغرب الإسلامي،ج 3،بيروت 1996.

- **إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**،**دراسة** وتحقيق هاشم العلوي القاسمي،ط1،منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت1983.

-بن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد:**درة الحجال في أسماء الرجال(960هـ/1025م)**،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار التراث،ج1،القاهرة 1970.

- **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**،دراسة وتحقيق محمد رزوق، 2ج، دت، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ج1،الرباط،1986.

- **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1973.

- الكردودي محمد بن عبد القادر:**الدر المنضد الفاخر لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**،مخطوط،مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء،المغرب،قيد رقم 1/200.

- الكنسوسي أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**،تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي،ج1،الرباط 1994.

ـمجهول:**تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**،ترجمه للفرنسية هوداس،باريس 1901.

-مجهول: **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التّكمدارتية** ، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة ، ط1،دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش 1994م.

ـالمقري أحمد بن محمد:**روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام،مراكش وفاس**،ط2، المطبعة الملكية الرباط 1983.

ـ**المنجور أحمد:فهرسةالمنجور**،تحقيق محمد حجي،دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط 1976.

ـمويط جرمان:**رحلة الأسير مويط**،تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر،وزارة الثقافة المغربية،دار المناهل للطباعة والنشر،المغرب 1990م .

ـاليفرني محمدبن عبد الله الصغير:**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشّريف**،ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1995.

ـ **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**،تحقيق هوداس، مطبعة أنجي،باريس 1888.

ـ **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**،تحقيق عبد اللّطيف الشاذلي،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 1998.

ـ **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**،تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي،ص1، مركز التراث الثقافي المغرب، الدار البيضاء المغرب 2004.

2-المصادر الأجنبية:

*3-Chantal de la veronne : **les sources inédites de l'histoire du Maroc, Archives et** bibliothèques d Espagne, T III, Paris 1956.*

*4- Charrière Ernest : **Négociations de la France dans levant**, imprimerie impériale t3, S.D. Paris.*

*5- De Castries henry:**Sources inédites Lhistoire duMaroc, deuxieme série, Dynastie Félalienne**, Archives et Biblioteques de France, T II, Paris 1924.*

*6- De Castries henry **: les sources inédites de L histoire du Maroc ,1serie, 6***

***dynaste saadienne**, Archives bibliothèques D'Angleterre, T2 , Paul geuthner et Luzace, Paris*

*7- de card Rouard:**Traités de la France avec les pays de L Afrique du Nord – Algerie, Tunisie ,tripolitaine ,Maroc**- librairie de la cour Dappel , Paris 1906.*

*8- de genival Pierre: **les sources inédites de lhistoire du Maroc ,deuxieme série ,deynastie filalienne** ,Archives et Biblioteques de France ,T IV,Mai 1693,Novembre1698.*

*9- Ricard Robert et de la Véronne Chantal: **les sources inédites du histoire du Maroc**, Archives et bibliothèques d Espagne, T II, Paris 1956.*

***10-**Robert Ricard et Chantal de laveronne et autres**: sources inédites de l histoire du Maroc**,1 sérié dynastie saadienne Archive et bibliothèque de Portugal , t6 ,1552-1580.Paris, 1953.*

3-مصادر ومراجع تاريخ الجزائر الحديث

-جون ولف بابتيست:**الجزائر وأروبا (1830-1500)**،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،طبعة خاصة،دار عالم المعرفة،الجزائر 2011.

-الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ط2، شركة دار الأمة ،ج3،الجزائر 2007.

- حوتية محمد الصالح :**توات والأزواد**،2ج،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القبة الجزائر 2004،ج1.

-بن خروف عمار:**العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشرالميلادي**، ط1،دار الأمل للنشر والتوزيع،ج1،الجزائر 2006.

- **العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م**،دار الأمل للطباعة والنشر،ج2،الجزائر 2008.

-خير فارس محمد:**تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**،ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت 1969.

-صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**

-**مذكرات وليم شالر**

- وليم سبنسر :**الجزائر في عهد رياس البحر**

-زباديةعبد القادر:**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.

ـالزبيري محمد العربي:**مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، مطابع المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1975.

ـسامح إلتر عزيز:**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،ط1،تعريب محمود علي عامر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت 1989.

ـسعيدوني ناصر الدين:**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

ـبن ميمون محمد الجزائري:**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم،ط 2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1981.

ـ الوزان الحسن بن محمد :**وصف إفريقيا** ،2ج ، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر،ط 2، دار الغرب الإسلامي، د ت، بيروت،ج2 .

ـالمشرفي عبد القادر بن عبد الله: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عام**، تحقيق محمد بن عبد الكريم ،دار مكتبة الحياة،بيروت،د ت.

ـبن المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**،جمع واعتناء فارس كعوان،ط1،بيت الحكمة،الجزائر 2009 م.

ـ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي

ـبعض المراجع الأجنبية:

- *blantet Eugene :* ***Correspondances des deys d Alger avec la cour de France 1579-1833****,T1, Paris 1889.*

- fray Diego de Haedo : **Histoire des *rois d'Alger***

مصادر تاريخ تونس:

ـ أحمد ابن ابي الضياف: **إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان.**

ـا ابن الشماع :**الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**

ـالوزير السراج:**الحلل السندسية في الأخبار التونسية .**

ـحمودة بن عبد العزيز :**الكتاب الباشي .**

-محمد بن القاسم الرعيني:**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.**

-مصادر تاريخ طرابلس الغرب:

أبو عبد الله محمد بن خليل ابن غلبون الطرابلسي **:التدكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخيار**

مسعود عبد الله مسعود :**ملاحم الحياة الفكرية و الثقافية فى ليبيا فى أواخر العهد العثماني و الإحتلال الإيطالي سنة 1911 م**

الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب (1842 – 1911 م) لكامل علي مسعود الويبه

للطاهر أحمد الزاوي :ولاية طرابلس من الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي

ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني لفرانشسكو كورو ترجمة خليفة محمد التليسي

المحاضرة الثانية:
ماهو الوضع السياسي لدول المغرب الإسلامي خلال القرن 10هـ/16م؟
الوضع السياسي لدول المغرب العربي مع مطلع القرن 16م :

كانت منطقة المغرب الإسلامي تعيش مرحلة من الوحدة، والقوة تحت قيادة دولة الموحدين حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وانضم إليها في هذه الفترة إقليم الأندلس، الذي صار تابعا للموحدين [1].ولما انهارت دولتهم، تحولت منطقة المغرب الإسلامي إلى حالة من التفكك الداخلي ، والتجزؤ ، فظهرت ثلاث إمارات مستقلة في منطقة المغرب الإسلامي تنافست فيما بينها مما أدى إلى ضعفها . هذه الإمارات هي : إمارة بني عبد الواد الزيانيين وعاصمتها مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط ، وإمارة بنو حفص بالمغرب الأدنى بتونس، وإمارة بني مرين بالمغرب الأقصى[2] . إضافة إلى الأندلس التي بدأت تسقط في يد المسيحيين تميزت علاقات هذه الإمارات بالتطاحن ، والنزاعات المستمرة . وقد وجد الزيانيون في تلمسان أنفسهم بين فكي رحى أي بين أطماع الحفصيين من الشرق،وأطماع المرينيين من الغرب ، وكل منهما يسعى للتوسع على حسابها [3].

ورغم أن الزيانيين تمكنوا من الحفاظ على ملكهم لمدة ثلاثة قرون إلا أن عرشهم ظل مهددا؛خاصة من طرف المرينيين الذين سلبوا منهم السلطة عدة مرات[4]،كما أن الصراع على السلطة، والاقتتال بين أبناء الأسرة الواحدة ، قد أدى إلى إنهاك تلك الإمارات اقتصاديا، وعسكريا ، بل وأضعف السلطة المركزية لكل منها،وصارت أقطارالمغرب الإسلامي فسيفساء سياسية لاسيما المغرب الأوسط،فمع نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي يعطينا المغرب

---

(1) رأفت الشيخ :**تاريخ العرب الحديث** ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،مصر 1994م ، ص374 .

(2) نفسه .

(3) مارمول كاربخال: **إفريقيا**،ترجمة حجي محمد وآخرون،دارنشر المعرفة ، ج2 ، الرباط 1988-1989،ص303 .

(4) الحسن الوزان: **وصف إفريقيا** ، ترجمة حجي محمد وآخرون،ط2 دار المغرب الإسلامي،بيروت 1983، ج2 ، ص323 .

الإسلامي؛ صورة عن الانحطاط السياسي، والعسكري، والتدهور الاقتصادي، فالعائلة الحفصية كانت ما تزال حاكمة في الشرق ، ولكنها ضعيفة وغير قادرة على السيطرة ، وفي الغرب كانت الأسرة المرينية في المغرب الأقصى ، ولكنها تعاني أيضا من الانحطاط، أما المغرب الأوسط فقد كان جزؤه الغربي تحت حكم أسرة بني زيان الضعيفة [5]

الدولة الحفصية بتونس وتوابعها :

1- تونس :

كان أبناء أبي حفص من بعده يتداولون الإمارة بالأندلس ، والمغرب ، وأفريقية مع بني عبد المؤمن، ولما نهض الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن إلى إفريقية في سنة 601 هـ /1204 م ، ومعه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص مؤازرا له ، وبسبب قيام ثورة ابن غانية بأفريقية ، وبعد المسافة بينها وبين مراكش ، قرر الناصر تنصيب محمد بن عبد الواحد واليا على أفريقية [1].

وقد قويت شوكة الأمراء الحفصيين في أيام أبي زكريا ابن أبي محمد بن عبد الواحد ، وهو الذي أسقط اسم الخليفة عبد المؤمن من الخطبة ، وأبقى اسم المهدي ، واستبد بملك أفريقية ، وخطب لنفسه ، وتلقب بالأمير المرتضى ، واتسع نطاق ملكه فتغلب على تلمسان ، وكافة المغرب الأوسط[2].

لقد إغتنم الحفصيون ولاة أفريقية (المغرب الأدنى)؛ التابعون للخليفة الموحدي بالمغرب الأقصى أزمة الإمبراطورية الإسلامية الغربية ، ليكتسبوا كيانا ذاتيا عمليا حوالي 1228م-1229م، ثم استقلالا رسميا سنة 1236م ؛ ففي تلك السنة أمر أبو زكريا بأن تقام الصلاة باسمه ، وهي صورة من صور الاستقلال، وسرعان ما أخضع لسلطانه كامل الجزء الشرقي من بلاد المغرب ؛ من مدينة طرابلس حتى مدينة بجاية [3]. فقد زحف أبو زكريا (1228م-1249 م) في سنة 628 هـ / 1230م على قسنطينة ، وبجاية،واستحوذ عليهما، وأسر واليهما من ذرية عبد المؤمن بن تومرت، وجمع تحت سلطته في وقت قصير كل أنحاء أفريقية ؛ وهو ما صار يعرف بالمملكة الحفصية ؛ من منطقة القبائل الكبرى إلى منطقة سرت الكبرى، وقضى على تمرد بن غانية ، وطارده حتى أخرجه من أفريقية إلى أن

---

[5] جون ب. وولف : **الجزائر وأوروبا (1830-1500)**،ترجمة وتعريب سعد الله أبو القاسم،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ، ص ص 23 ، 24 .

[1] الحسن محمد بن عبد القادر الجزائري: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، 2ج، المطبعة التجارية، الإسكندرية، مصر 1903، ج1، ص 59.

[2] نفسه، ص 59، 60.

[3] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3، دار سراس للنشر ، تونس 1993 ، ص 53 .

توفي في سنة 631هـ / 1234م، ثم واصل زحفه فضم مدينة الجزائر، وواصل زحفه إلى غاية إلى وادي الشلف؛ فأصبح نصف بلاد المغرب تحت سلطته [4].

فرض أبو زكريا النظام في البلاد والإدارة ، ووضعت القبائل العربية القوية خاصة ، حدا لأعمال الحرب والتمرد ، وأرغمت على الاعتراف بخضوعها لصاحب تونس ؛ أبو زكريا ، الذي توفي في سنة سبع وأربعين وستمائة هجرية ، وتولى ابنه أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا [1]. واصل محمد الذي تولى الأمر من بعد أبي زكريا، والذي لقب بالمستنصر (1250م-1277م)، تلك الأعمال بنجاح ، كما تلقب رسميا بلقب الخليفة ، أو أمير المؤمنين، اعترفت له بهذا اللقب دول عديدة في الغرب ، والشرق[2].

انتابت الدولة الحفصية بعد موت الخليفة المستنصر الفوضى لكثرة الخلافات على العرش بين الحفصيين، وتعرضت البلاد لهجوم المسيحيين، وغارات القبائل العربية، إضافة إلى تعرضها لغزوات بني مرين من الحدود الغربية[3]، ورغم ذلك استمرت دولتهم مع الزيانيين، وبني مرين[4].

وقد استعاد الحفصيون وحدتهم ، وقوتهم في أوائل القرن 09هـ/15م ، على أيدي الخليفة أبي العباس، وأبي فارس، اللذين أعادا للدولة الحفصية وحدتها ، ونشاطها ؛ فاستعادت سلطانها على الجزائر ، وقسم من المغرب الأقصى، لكن سرعان ما عاد الضعف إليها ، فدخلت البلاد التونسية مرحلة أزمة شديدة في أواخر القرن 15م ، ومطلع القرن 10هـ / 16م.وهناك عوامل جديدة ظهرت أخلّت بما عرفته الدولة الحفصية ، من توازن دام قرونا عديدة ، ويبدو أن تلك التغيرات قد فرضها الوضع الدولي ؛ وهو أمر يتجاوز إطار البلاد التونسية وحدها [5].

فمن بين النتائج ، التي انجرت عن الكشوفات البحرية ، وعن الحيوية والنشاط ، اللذين شهدتهما أوربا في عصر النهضة ؛ فقدان حوض البحر المتوسط مكانته، بعد أن تحولت عنه الطرقات التجارية الكبرى ، والمعادن الثمينة ، فضعف بذلك اقتصاد المدن المركّز على استخدام النفوذ، وتأزمت مجتمعاتها، وحرمت الدولة

---

[4]روبار برنشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م** ، نقله إلى العربية:حمادي الساحلي، 2ج ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1988، ج1، ص 51، 52 .

[1] الحسن محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**،المطبعة التجاريةالإسكندرية1903 ، ج1 ، ص 60 .

[2] محمد الهادي الشريف : **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال**،تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة ،دار سراس للنشر تونس ، ص 53 .

[3] شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي في العصر الحديث**،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة 1977 ، ص 28.

[4] الحسن محمد بن عبد القادر: المرجع السابق، ص 60.

[5] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص 64.

الحفصية من الموارد الخارجية، التي كانت تحصل عليها من التجارة ، أو القرصنة ، وأعوزتها مؤازرة المجتمعات الحضرية ، التي كانت حليفها الطبيعي، وركيزتها الأساسية ، وبذلك انحلت هذه الدولة ، وفقدت القدرة على ردع القوى الانفصالية ، فقد استعاد سكان البلاد وخاصة القبائل استقلالهم ، وحريتهم عن سلطتها [1] ؛ حتى إن نفوذ الحفصيين لم يكن يتعد مدينة تونس نفسها ، في مطلع القرن 10 / 16م [2] .

ويمكن القول أن السلطان الحفصي في تونس لم يعد نفوذه يتعدى مدينة تونس نفسها قبل أن يغدو تحت حماية الإسبان في سنة 1535م . أما المناطق البعيدة كبسكرة ، قسنطينة ، وغيرها فخرجت عن نفوذه ، واستقلت عنه ، وصارت الموانئ التونسية تحت نفوذ القبائل العربية ، والطرق الصوفية كالشابية ، التي اتخذت من مدينة القيروان عاصمة لمملكتها [3].

2- طرابلس الغرب :

منذ الأزمنة القديمة وجد بليبيا وحدتان سياسيتان منفصلتان وهما : برقة ، وطرابلس الغرب ؛ حيث يقسم خليج سرت المنطقة الساحلية إلى قسمين ، أما المناطق الصحراوية فتمتد باتجاه الداخل؛ وتعرف هذه المناطق باسم إقليم فزان [4] .

وكانت للحواضر الليبية إتصالات مع مراكز الحضارة ، والتجارة بغرب القارة الإفريقية ، فقد كانت القوافل تفد إليها من قلب القارة ، وكانت موانيها تعتبر من المنافذ الهامة ، التي تصل إليها غلات إفريقيا الغربية.كما كانت لها إتصالات مع الموانئ التجارية الهامة في إيطاليا، وغيرها من أقاليم البحر المتوسط الأوربية [5]. بالإضافة إلى موقع ليبيا في طريق الحجاج من شمال غرب أفريقيا ، وقربها إلى الأراضي الحجازية ؛ جعل لها أهمية خاصة في العصور الوسطى ، حيث كانت القوافل هي وسيلة النقل الرئيسة في تلك الفترة [6] .

وعندما توفي الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب في سنة 595هـ/1199م ، خلفه أخوه محمد الناصر الذي ظل يحارب القبائل العربية المناوئة للموحدين بقيادة بني

---

(1) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص ص 64 ، 65 .

(2) شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 28.

(3) Ernest Mercier **: Histoire de l’Afrique septentrionale**, 3T, Ernest lerroux éditeur, Paris1891, T3, p 6.

(4) شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص 127 .

(5) نفسه ، ص 128 .

(6) نفسه .

غانيـة ، فقـد انتصـر علـيهم فـي تـاجوراء فـي سـنة 602هــ/1205[1]، فاسـتقبله أهـل طـرابلس وأقـر عليهـا حاكمهـا يحـي بـن إسـحاق الميـورقي، الـذي حقـق بـدوره انتصارات هامة ضد قبائل بني غانية ، لكنه حاول التنكر للخليفة الموحدي الناصر ؛ لذلك عمد إلى عزله ، وعين أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص على أفريقية في 07شوال 603هـ/1207م [2] . وبذلك انتقلت طرابلس الغرب من حكم الموحدين إلى حكم الحفصيين أمراء تونس ، الذين تصرفوا منذ الوهلة الأولى لحكمهم في المدينة كأمراء مستقلين [3].

وبعد خضوع طرابلس الغرب لحكم الحفصيين ، شهدت المدينة اضطرابا في أوضـاعها العامـة؛ نتيجـة للصـراعات الـدائرة فـي أفريقيـة (تـونس) بـين الحفصـيين ومعارضيهم ، لذلك عمد سكان المدينة إلى تنصيب حاكم منهم عليها ؛ وهو محمد بـن ثابـت بـن عمـار ، فنجـت المدينـة مـن الصـراعات ، وظـل آل ثابـت يحكمـون طرابلس الغرب لمدة تقارب الثمانين عاما ؛ ساد فيها الهدوء والاستقرار السياسي [4] . حيث عمل محمد بن ثابت على تنظيم أمور المدينة ، تنظيما دقيقا معتمدا على العدل، كمـا تجنـب إثـارة حفيظـة الحفصـيين ، وبقيـة جيرانـه ، وظـل طـوال حكمـه يتظاهر بالخضوع للحكام الحفصيين [5] .

وظلت طرابلس الغرب خاضعة للسيطرة الحفصية حتى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، ونتيجة لضعف مملكة الحفصيين ؛ شكلت المناطق الشرقية : قابس ، طرابلس ، والجديد حكما ذاتيا مستقلا بها ، وأقام الطرابلسيون مجلس شورى برئاسة شيخ البلد سيدي منصور ؛ مهمته حل النزاعات التي تنشب بين القبائل . فبايع سكان طرابلس الغرب ، والقبائل العربية ، وسكان تاجوراء سيدي منصور ، وأصبح أول حاكم مستقل بإرادة شعبية حرة، فغضب السلطان أحمد الحفصي من استقلال أهالي مدينة طرابلس الغرب ، فجهز حملتين عسكرية متتاليتين ضدهم لكنه هزم . ولم تستمر الخلافات بين الحفصيين والطرابلسيين طويلا ؛ ففي سنة 1463م إتفق الطرفان، و اعترف الطرابلسيون بالتبعية الاسمية للحفصيين [1].

---

[1] أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي : **تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** ، نشر وتصحيح وتعليق : الطاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1349هـ ، ص 52 .

[2] نفسه ، ص 91 .

[3] نفسه ، ص 92 .

[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : **تاريخ المغرب العربي الحديث(المغرب الأقصى وليبية)**،منشورات جامعة دمشق،ج2،سوريا1999 ، ص 145 .

[5] نفسه ، ص 146 .

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 148 .

وفي مطلع القرن 10هـ/ 16م شكلت طرابلس ؛ منطقة إستراتيجية خطيرة ؛ بالنسبة لحركة التجارة مع مداخيل أفريقيا ، وأنها المأوى الوحيد ، والمفضل للقوافل الصحراوية الوافدة من السودان ، والمحملة بالتوابل ، والذهب ، وتجارة العبيد .كما أن طرابلس تعد على صعيد المواجهة البحرية خطا ساحليا؛ ذا أهمية قصوى لتأمين حرية التجارة ، والتنقل في عرض حوض البحر المتوسط ، كما أن مواجهتها القريبة من مالطة ، وإيطاليا الجنوبية ، قد أعطى لهذا الإشراف العسكري حيوية كبيرة [2].

استقلت طرابلس في مطلع القرن 10هـ / 16م عن الحفصيين بسبب ضعف الدولة الحفصية، وصارت تلقي الخطبة باسم السلطان المريني بفاس ، أما سيرت فكان يحكمها مجلس منتخب من الأعيان يرأسه أحد الشيوخ . وفي سنة 1510م / 915 هـ تمكن الإسبان من احتلال مدينة طرابلس بعد مقاومة شديدة من طرف سكانها ، وبعد تعرضها عمليات نهب كبيرة ، ترك بها الكونت بيدرو نافارو حامية قدرت بثلاثة آلاف جندي ، وظلت بيد الإسبان إلى أن منحها شارلكان إلى فرسان القديس يوحنا في سنة 1530م [3].

3- الدولة الزيانية [4] بالمغرب الأوسط :

أما في النصف الغربي من المغرب الأوسط فقد أدت الخلافات على العرش في تلمسان إلى تقلص نفوذ الملوك الزيانيين فيها،وتجزأت سلطنتهم إلى إمارات مدن صغيرة في وهران، والجزائر، وغيرها ، وإلى إمارات هنا ، وهناك في تنس، الحضنة، والزاب، وتقرت. قبل أن تتعرض معظم المدن الساحلية إلى الاحتلال الإسباني [1] .

كان أولها المرسى الكبير في سنة 911 هـ /1505 م، ثم وهران في سنة 914 هـ / 1509 م، وتنس ، والجزائر [2]. وقد أدى التفكك ، والتجزؤ ، والغزو الإسباني

---

[2] عبد الجليل التميمي : **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني** ،جمع وتقديم عبد الجليل التميمي،تونس 1984،ص 74 .

[3] ايتوري روسي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا** ، ترجمة وتقديم : خليفة محمد التليسي ، ط1 ، مؤسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر ، طرابلس ليبيا 1969 ، ص18 .

[4] لمعرفة أوضاع الدولة الزيانية خلال القرن 16م أنظر : مختار حساني: **الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية** ، ط1 ، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ، 3ج ، الجزائر 2007 .

[1] عمار بن خروف : **العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشرالميلادي**، ط1،دار الأمل للنشر والتوزيع،ج1،الجزائر 2006.، ص16 .

[2] مارمول: المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 328 - 330 .

إلى تدهور أوضاع منطقة المغرب الأوسط ، مما دفع السكان في بجاية ، وجيجل ، والجزائر ،وحتى في تلمسان

إلى الاستنجاد بالعثمانيين عند ظهور الإخوة بربروس بسواحل المغرب الإسلامي[3].

فقد كانت حالة المغرب الأوسط أكثر سوءا من بقية بلدان المغرب الإسلامي ، نظرا لحالة الضعف التام ، الذي كان يعاني منها . مما عرّض أكثر موانئه للاحتلال الإسباني .

4- الدولة المرينية بالمغرب الأقصى :

أما المغرب الأقصى فلم يكن أحسن حالا ، فقد كان يعاني من التجزؤ ، والضعف، والتفكك[4]، مما جعل البلاد عرضة للحملات البرتغالية ، والإسبانية ، التي أصابت أهم المدن، والمواقع الساحلية ، حيث احتل البرتغاليون أغادير في سنة 1505م ، ثم أزمور في سنة 1513م، وتطلعوا لاحتلال مدينة مراكش الداخلية في سنة 1515م ، لكن محاولتهم باءت بالفشل . وكانوا من قبل احتلوا سبتة في سنة 1415م ، وطنجة ، وأصيلا وغيرها [5]. أما الإسبان فاحتلوا مليلة في سنة 1497م ، ثم حجر باديس في سنة 1508م[6]. وأمام عجز المرينيين ، ثم الوطاسيين في مواجهة الغزو الخارجي، برز السعديون على المسرح السياسي في سنة 1509م انطلاقا من الجنوب ، وأخذوا شيئا فشيئا في التحكم في زمام الأمور[7].

استغل الإسبان حالة التفكك والضعف، االتي كانت تعاني منها الدولة الزيانية ، لاحتلال مواقع، ومدن عديدة جزائرية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ؛ كان أولها المرسى الكبير في سنة 1505م / 911 هـ ، تم احتلال مدينة وهران في سنة 1509م / 914 هـ [1] ، كما أرغمت كل من مستغانم ، تنس ، الجزائر، ودلس على الاستسلام ودفع الضرائب ، وأقيمت على صخرة الجزائر قلعة إسبانية لمراقبتها ، والتي تعرف بصخرة البينيون ؛ بناها الملك فرديناند لصد هجمات البحارة المسلمين ، ولمراقبة النشاط البحري لمدينة الجزائر ، كما فرض على سالم التومي حاكم مدينة الجزائر عقد هدنة مع إسبانيا تدوم عشر سنوات ، ودفع الجزية للملك الإسباني [2] . كما احتل الإسبان مدينة بجاية في سنة 1510 م - ،وعجزت

---

(3) علي محمد الصلابي : **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**،ط1 ،مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ،القاهرة 2005 ، ص195 .

(4) عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 46.

(5) نفسه: ص 48.

(6) رأفت الشيخ: المرجع السابق، ص375.

(7) عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 46.

(1) مارمول: المصدر السابق ، ج2 ، ص328 .

(2) نفسه ، ج2 ، ص 38 .

السلطة الزيانية عن حمايتها ، وهو ما دفع السكان الجزائريين إلى الاستنجاد بالعثمانيين عند ظهور الإخوة بربروس بسواحل المغرب الإسلامي[3].

في الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي بصفة عامة ، وعلى سواحل المغرب الأوسط بصفة خاصة ؛ ضمن المشروع الإسباني الذي يهدف إلى احتلال المنطقة . وبسبب ضعف المقاومة المحلية ، وغياب السلطة الزيانية التي انحصرت في العاصمة تلمسان، التي أعلن حكامها بدورهم التبعية للإسبان . كان ضروريا من ظهور قوة جديدة تقود عمليات التحرير ضد الاحتلال . فظهر الإخوة بربروس ، الذين سيلعبون دورا هاما في توجيه العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي ، وإسبانيا في الحوض الغربي للبحر المتوسط [4].

يعود أول تعاون بين الجزائريين ، والعثمانيين ضد الإسبان إلى المحاولة الأولى لتحرير بجاية ، التي قادها عروج في سنة 1512م ، لكنه فشل في تحريرها بسبب التحصينات الإسبانية ، فانسحب إلى تونس بعد أن بترت ذراعه [5] .ثم انتقل من تونس إلى جيجل، التي حررها من يد الجنويين [6] واتخذها قاعدة لنشاطه البحري ، الذي كثفه على الموانئ الإسبانية ، فحصل على غنائم كبيرة أرسل قسما منها للسلطان سليم الأول ، الذي أرسل له هدية ثمينة عبارة عن أسلحة وذخيرة كان في حاجة لها[1] أعاد عروج حصار مدينة بجاية في سنة 1514م ؛ لكنه فشل بسبب نقص ذخيرته ، ورفض السلطان الحفصي محمد بن الحسن تزويده بالإمدادات خوفا من زيادة مكانة الإخوة بربروس في بلاد المغرب الإسلامي[2] .

تعود المحاولات الأولى لتحرير المدن الساحلية الجزائرية إلى سنة 1516م ، لما توفي الملك فرديناند الكاثوليكي ، فاستغل سكان مدينة الجزائر بقيادة سالم التومي هذه الفرصة ؛ للتخلص من الوضعية الصعبة ، التي فرضها عليهم الإسبان منذ سنة 1510م ؛ عند احتلالهم لصخرة البينيون ، التي وضعوا فيها حامية كانت تقيّد المدينة ، وتتحكم فيها . فكتبوا إلى عروج في مدينة جيجل يستنجدون به [3].

---

[3] محمد الصلابي: المرجع السابق ، ص195 .

[4] عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية** ، ترجمة : محمود علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1989 ، ص 18 .

[5]Diego de Haèdo : **Histoire des Rois d'Alger**, traduit par : H.D.DE Grammont, Adolphe jourdan. Libraire-éditeur, Alger 1881, p 19.

[6] احتلها أندري دوريا ووضع بها حامية تابعة لجنوة في سنة 1513م ، واقام بها مركزا تجاريا ، أنظر عبد القادر فكاير : **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16م**، رسالة ماجستير ،معهد التاريخ جامعة الجزائر 2000-2001، ص 75 .

[1] مجهول : **غزوات عروج وخير الدين** ، تصحيح وتعليق :نور الدين عبد القادر ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1934 ،ص 24 .

[2] ابن أبي الضياف : **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ،الدار التونسية للنشر،تونس 1977، ص 11 .

[3] مجهول: المصدر السابق، ص 24.

قبل عروج الدعوة من أجل نصرة إخوانه المسلمين [4] ، وجهز قوة أرسل نصفها بحرا ، واتجه مع النصف الآخر برا ؛ فاتجه مدينة إلى شرشال حيث قضى على تمرد لأحد أتباعه المدعو حسن قارة ؛ من أجل توحيد الصفوف ضد الإسبان ، و ترك بها حامية عسكرية ، ثم عاد إلى مدينة الجزائر فاستقبله سكانها ، وعلى رأسهم حاكمها سالم التومي[5] .

قام عروج بقصف قلعة البينيون بالمدفعية لمدة عشرون يوما ، لكنه لم يتمكن من تحطيمها ، لذلك أجّل أمر تحريرها لوقت لاحق . تخوفت إسبانيا من تمركز الإخوة بربروس بالمغرب الإسلامي ، وبالجزائر خاصة لذلك جهزت حملة عسكرية في سبتمبر 1516م ؛ قوامها ثلاثمائة وعشرين سفينة ، وخمسة عشر ألف جندي [6] بقيادة دييغو دي فيرا Digo de Vèra ، لكن الحملة الإسبانية منيت بهزيمة ساحقة بسبب الظروف الطبيعية ، فكان ذلك انتصارا كبيرا للإخوة بربروس ، ولسكان مدينة الجزائر ، من أجل ذلك سارعت المدن المحيطة بمدينة الجزائر ، وبلاد القبائل إلى الاعتراف بسيادة عروج ، وصار لإمارة الجزائر شأن عظيم [7] .

كما تمكن عروج من الاستيلاء على مدينة تنس ، وقتل أميرها الزياني المتعاون مع الإسبان ، كما استنجد سكان مدينة تلمسان بعروج ضد ملكهم أبو حمو الثالث الزياني المتعاون مع الإسبان، فاتجه إليها ؛ وفي طريقه وضع حامية عسكرية تركية بقلعة بني راشد ، تحت قيادة أخيه إسحاق ليحمي مؤخرة جيشه . فتمكن من دخول مدينة تلمسان والإطاحة بأبي حمو الثالث ، الذي فر إلى مدينة وهران ، للاستنجاد بالإسبان ، ونصّب عروج أخاه أبا زيان ، الذي تآمر عليه هو الآخر ، فقتله هو الآخر مع أنصاره [1].

فتوجه أبو حمو الثالث على رأس قوة من الإسبان والأعراب إلى قلعة بني راشد ، فقتلوا الحامية التركية التي كان على رأسها إسحاق عام 1518م [2] ،ثم وصلوا إلى تلمسان ،وضربوا عليها حصارا ؛ تمكن عروج وجنوده من الصمود ستة أشهر ، ثم اضطر إلى الخروج باتجاه المغرب ، تفطن الإسبان لخروجه فلحقوا به ،واستشهد في شهر ماي سنة 1518م بعد مقاومة باسلة وعمره أربعة وأربعين عاما [3] .

---

[4]Haèdo : op.cit, p 22.

[5]Mercier : op.cit, p 16.

[6] مجهول: المصدر السابق، ص 29 .

[7] يحي بوعزيز : **الموجز في تاريخ الجزائر** ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999 ، ج2 ، ص 258 .

[1]Mercier : op.cit, p 19.

[2] أحمد توفيق المدني : **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1792-1492)** ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1984 ، ص 189، 190 .

[3] نفسه: ص 190، 191.

بعد استشهاد عروج وجد أخوه خير الدين ؛ الذي كان قد خلفه في مدينة الجزائر نفسه في وضعية صعبة ؛ فقد هددته الأخطار من كل جانب ، خطر الإسبان ، وأطماع الحفصيين من الشرق ، وتمرد مدن شرشال ، وتنس ، وبلاد القبائل بقيادة أحمد بن القاضي، إضافة إلى نقص المؤونة ، والجند . في هذه الظروف الصعبة عزم خير الدين على مغادرة الجزائر ، لكن أعيان المدينة رفضوا ذلك ، وطلبوا منه البقاء [4] ، لذلك تراجع عن قراره وبدأ يعمل على تدعيم أسس الدولة الجزائرية ، التي جعل من مدينة الجزائر عاصمة لها ، والتي ستتولى مواجهة الحملات الإسبانية ، وحماية المنطقة المغربية . وبفضل عبقرية خير الدين ، الذي رأى أنه بحاجة إلى قوة حليفة تقف إلى جانبه لمواجهة الخطر المسيحي الإسباني ، ومشروعه الاستعماري ؛ فرأى أن القوة الوحيدة القادرة على حماية البلاد ؛ هي الدولة العثمانية الإسلامية ، فعرض ذلك على أعيان مدينة الجزائر ، الذين رضوا [5] ، ووجهوا رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول ؛ يطلبون فيها التبعية للدولة العثمانية في سنة 1519م [1] . فوافق السلطان على دخول الجزائر إلى أقاليمه ، ومنح خير الدين لقب بيلرباي ، وأرسل إلى الجزائر أسطولا بحريا ، وقوة من الإنكشارية ، وكمية من الأسلحة . وبذلك أصبحت الجزائر مرتبطة بالدولة العثمانية ، ومتحالفة معها ضد إسبانيا والعالم المسيحي ؛ وهذا ما وصفه المؤرخون الأوربيون بأنه بادرة غيرت مجرى التاريخ الإفريقي[2].

5- الاحتلال الإسباني لطرابلس سنة 916هـ/1510م :

- الحملة الإسبانية على طرابلس في سنة 1510م :

سار بيدرو نافارو مع الخطة التي سهلت له احتلال الساحل الإفريقي الشمالي ؛ والمتمثلة في عملية الإحداق بالمنطقة من طرفيها ، ثم تضييق الدائرة شيئا فشيئا حول الوسط ، فقد رأى أن يفاجئ طرابلس [3]، وأن يتمكن منها . وكانت يومئذ آخر حدود الدولة الحفصية جنوبا [4] .

---

[4] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 29 .

[5] مجهول : المصدر السابق ، ص 42 .

[1] ينظر عبد الجليل التميمي : **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول في سنة 1519م** ، في م ت م، العدد 06 ، تونس جويلية 1976 ، ص 118 .

[2] شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 325 .

[3] توجد رسالة من الملك فردناند إلى بيدرو نافارو يأمره فيها باحتلال مدينة طرابلس الغرب ، مؤرخة في ماي سنة 1510 ، أنظر إلى : Charles Feraud . **L Annales Tripolitaines**, publiers avec une introduction et des notes par Augustin Bernard, Librairie Tournier, Tunis, Librairie Vurbert, Paris 1927, p 22.

[4] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 143.

غـادر الكونـت بيـدرو نافـارو مدينـة بجايـة علـى رأس ثمانيـة آلاف رجـل فـي 07 جـوان مـن سـنة 1510 م ، واتجـه إلـى فافنينانـا Favignnana ؛ حيـث ينتظـر السـفن القادمـة مـن نـابولي ، وصـقلية للمشـاركة فـي الهجـوم علـى مدينـة طـرابلس ، وقـد نسـقت الحملـة تحـت إشـراف وتوجيـه نائـب ملـك صـقلية ، وتـم تنفيـذها بمشـاركة جنـود إيطـاليين ، وخاصـة مـن صـقلية . غـادر الأسـطول فافنينانـا فـي 15 جويليـة سـنة 1510م ، حيـث توقـف فـي غـوزو Gozo بمالطـة[5]،وانضـم إليـه بعـض المـالطيين، كـأدلاء لمعـرفتهم بطـرابلس ، وخبـرتهم بكافـة سـواحل الشـمال الإفريقـي ، وتفيـد بعـض المصـادر أن مهمـة الإرشـاد البحـري ؛ تولاهـا الـدليل الصـقلي يوليـانو (جوليـانو) أبـيلا Guiliano Abella [1] .

كانـت الحملـة الإسـبانية مكونـة مـن سـتين سـفينة ،ومـن غليـوطتين ، ومـن عـدد مـن المراكـب الشـراعية، ومـن خمسـين مركبـا ذات الأشـرعة الثلاثيـة ، وانضـمت إليهـا مـن مالطـة خمسـة سـفن مالطيـة مسـلحة تسـليحا جيـدا ، وحـين غـادرت الحملـة مـن مالطـة فـي 20 جويليـة باتجـاه مدينـة طـرابلس ؛كانـت مكونـة مـن مائـة وعشـرين سـفينة بحريـة بـين صـغيرة وكبيـرة وعلـى ظهرهـا جميعـا خمسـة عشـر ألـف جنـدي إسـباني ، وثلاثـة آلاف جنـدي إيطـالي وعـدد من المغامرين [2] .

وصـل الأسـطول الإسـباني إلـى المدينـة فـي يـوم 25 أوت سـنة 1510م ، وعلـى الفـور باشـر بضـرب سـواحلها ، وأنـزل مدفعيتـه علـى الشـاطئ جنـوب شـرقي المدينـة فـي منطقـة سـيدي الشـعاب ، ونتيجـة للقصـف الشـديد تمكـن الإسـبان مـن اختـراق السـور ، وفتحـت إحـدى الأبـواب خـلال السـاعات الأولـى مـن النهـار ، وقبـل انقضـاء ذلـك اليـوم كـان الإسـبان قـد أتمـوا احـتلال المدينـة [3] . ورغـم قلـة مـا كـان لـدى المدينـة مـن الجنـود وآلـة الحـرب ، فقـد قاومـت مقاومـة عنيفـة ، واسـتخدم أهـل طـرابلس النـار ، والحجـارة . واستشـهد مـنهم 5000 ، ووقـع فـي الأسـر 6000 آخـرين ، فكانـت خسـائرهم فـي الأرواح كانـت كبيـرة ، رغـم قتـل عـددا مـن قـادة الإسـبان واضـطر مـن بقـي مـن سـكان البلـد إلـى تسـليم أنفسـهم ، وهـرب مـنهم أكثـر مـن 6000 إلـى تـاجوراء ، زنزور ، وغريان [4] .

---

[5] اتوري روسي : المرجع السابق ، ص 18 .

[1] أحمد بن حسين النائب الأنصاري : **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان** ، تقديم وتعليق : محمد زينهم محمد عرب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، مصر 1994، ص 38 .
[2] اتوري روسي : المرجع السابق ، ص 18 .
[3] محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 149.
[4] أحمد بن الحسين النائب الأنصاري : المرجع السابق ، ص 38 .

- أوضاع طرابلس في ظل الاحتلال الإسباني :

وخــلال الســنوات الأربــع الأولــى لوجــود الإســبان فــي مدينــة طــرابلس الغــرب ، وخوفــا مــن زيــادة الخســائر البشــرية والماديــة ، ولضــمان بقــاء المدينــة فــي حــوزة المســيحيين ؛ عمــد الملــك الإســباني إلــى إلحاقهــا مباشــرة بمملكــة صــقلية بحجــة قربهــا . فغــدت المدينــة مرتبطــة مباشــرة بحكومــة نائــب الملــك فــي صــقلية ، واســتدعي القائــد دييغــو دي فيــرا إلــى إســبانيا ، وعــين مكانــه دون جيم دي ريجوسـن Don Jim de Régocen حاكمـا للمدينــة [1]. وفــي عهــد نائــب الملــك فــي صــقلية دون هوجــو دي مونكــادا Don Hugo de Moncade ، بــدأ بتشــجيع الســكان المســيحيين للســفر إلــى مدينــة طــرابلس ، مــن يرغــب تمــنح لهــم المســاكن الملائمــة ، وتخصــص لــه الأراضــي الزراعيــة ، ويعفــى مــن الضــرائب لمــدة عشــرة أعــوام ، كمــا يبــرأ مــن كــل تهمــة مدنيــة أو جنائيــة ، لكــن المســيحيين رفضــوا ذلــك ؛ خاصــة مــع بدايــة التواجــد التركــي فــي الســواحل الإفريقيــة [2] . وفــي ســنة 1520م قــام نائــب الملــك فــي صــقلية هوجــو دي مونكــادا بحملــة ناجحــة ضــد جزيــرة جربــة ، انتهــت بإجبــار شــيخها علــى الاستســلام ، وتوقيــع معاهــدة تبعيــة للملــك الكــاثوليكي شــارلكان . كمــا وجــه شــارلكان رســالة إلــى نائــب الملــك فــي صــقلية ؛ تضــمنت الموافقــة علــى إعــادة شــيخ طــرابلس ، الــذي كــان قــد أخــذ أســيرا عنــد احــتلال الإســبان لمدينــة طــرابلس إلــى ميســين ، وبقــي فــي الأســر عشــر ســنوات ، لاســتخدامه لتوطيــد العلاقات بين المحتلين الإسبان والأهالي ، وتهدئة الحالة في المدينة [3] .

- تسليم شارلكان مدينة طرابلس لفرسان القديس يوحنا :

أرســل المرشــد الأكبــر لفرســان القــديس يوحنــا فــي أكتــوبر ســنة 1523م وفــدا إلـــى شـــارلكان ؛ يطلـــب منـــه مـــنحهم جزيـــرة مالطـــة ، وقـــد أبـــدى الإمبراطــور ترحيبــا بهــذا الطلــب ، واشــترط شــارلكان أن تتــولى المنظمــة مهمــة الــدفاع عــن قلعــة ، ومدينــة طــرابلس . وقــد أرســل المرشــد الأكبــر ثمانيــة مــن الفرســان لزيــارة جزيــرة مالطــة ، وغــوزو ، ومدينــة طــرابلس ،وقــدموا تقريــرا عــن أحــوال قلعــة ومدينــة طــرابلس [4] .وبعــد مفاوضــات طويلــة بــين المرشـــد الأكبـــر للفرســـان ، والإمبراطـــور شـــارلكان انتهـــت بتوقيـــع الإمبراطــور فــي 24 مــارس 1530م ؛ المرســوم فــي كاســتل فرانكــو مينيتــو Kastel Franco Minito ، الــذي سلّم بموجبــه شــارلكان مدينــة طــرابلس الغــرب لفرسان القديس يوحنا [5].

---

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 152.

[2] ايتوري روسي : المرجع السابق ، ص 37 .

[3] نفسه ، ص 38 .

[4] ايتوري روسي : المرجع السابق ، ص 50 .

[5] نفسه ، ص 52 .

استقرت منظمة فرسان مالطة في طرابلس الغرب منذ سنة 1530م ، وبدأت العمل بتحصين المدينة ، وزيادة استحكاماتها الداخلية والخارجية ، ورممت الأسوار والقلاع الدفاعية ، وتحمل أبناء المدينة مسؤولية البناء ، والترميم تحت سياط فرسان القديس يوحنا . فقد كان تصرف فرسان مالطة يوحي بأن التغييرات ، التي يحدثونها في معالم المدينة ، تدل دلالة واضحة على أنهم يسعون للاستقرار في مدينة طرابلس الغرب بصورة دائمة ، وجعلها مقرا دفاعيا لهم [1].
وقد أطلقوا على البرجين الواقعين في الطرف الشرقي من المدينة ؛ اسم القديس جورج على البرج الأول ، و اسم القديس جاكومو على الآخر ، كما أطلقوا على الساحة الواقعة بينهما اسم القديسة بربرا . وقد حكم مدينة طرابلس أحد عشر حاكما من فرسان القديس يوحنا ؛ كان من أشهرهم : اورليو بوتيجلا Aurelio Bottigella ، الذي حكمها مرتين ، وجيوفالي لافالتتي Giovanni La Vallette [2]. إن سلطة حاكم طرابلس في عهد فرسان مالطة ، كما هي في عهد الحكم الإسباني ؛ لم تتعد نطاق المدينة ، وكانت بعض القرى الواقعة على الساحل الغربي مثل : جنزور ، والماية ، وزواغة تدفع الضريبة بطريقة غير منتظمة [3] . أما مدينة تاجوراء ، التي تقع على مسافة الخمسة عشر كيلومتر شرقي مدينة طرابلس الغرب ، فقد فر إليها المسلمون بعد احتلال مدينة طرابلس من طرف الإسبان ، وقادوا المقاومة لاسترجاع المدينة [4] لم يطمئن بال فرسان القديس يوحنا في مدينة طرابلس ، خاصة بعد وصول العثمانيين إلى الساحل الغربي للمتوسط ، ووجود خير الدين حاكم الجزائر ، الذي تزايدت قوته البحرية . كما لم يكن لهم من تمويل مالي ؛ لذلك لجاؤا إلى غزو القرى المجاورة ، وفرضوا الضرائب عليها . لكن الطرابلسيين لم يكفوا عن مهاجمتهم ومناوشتهم للحامية المالطية ، وظلوا يضايقونها ، من أجل تحرير المدينة من الاحتلال ، وكانت بداية عمليات التحرير مدينة تاجوراء [5] .

- التواجد العثماني في تاجوراء:

أغار خير الدين بربروس على مدينة طرابلس في سنة 1531م ، وكان قائد الفرسان إذ ذاك هو جاسبارو دي سانجيسا Casparo de Sanguisa حاكما عليها ، الذي تمكن من الثبات في وجه خير الدين ، فتوجه خير الدين إلى مهاجمة قرية تاجوراء ؛ حيث كان نفر من العرب يتعاونون مع الإسبان ، ومع فرسان القديس

---

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 155 .
[2] ايتوري روسي : المرجع السابق ، ص 83 .
[3] نفسه ، ص 61 .
[4] محمد بن خليل غلبون الطرابلسي : المرجع السابق ، ص 93 .
[5] أحمد بن الحسين النائب الأنصاري : المرجع السابق ، ص 41 .

يوحنا ، فطردهم منها وولى عليها قائدا من رجاله يسمى خير الدين كرمان ، وترك معه بعض الأسلحة ، والجنود ، والقطع الحربية [1] .قاد حاكم طرابلس أوراليو بوتيجلا في محرم من سنة 943هـ/ 1536م حملة ضد مدينة تاجوراء ، بعد أن تلقى نجدة من مالطة ؛ قدرت بأربعة مراكب ، وخمسمائة وخمسين مقاتلا . هاجموا المدينة ، ونهبوا وسلبوا ، وقتل خير الدين كرمان في الصراع ، فعين خير الدين بربروس قائدا آخر ؛ وهو مراد أغا [2] . وتذهب المصادر الإسلامية أن سكان تاجوراء أرسلوا جماعة من الأعيان على متن سفينة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني ، يطلبون منه الإعانة من أجل مساعدتهم في تحرير مدينة طرابلس من احتلال فرسان القديس يوحنا [3] فولى السلطان العثماني في سنة 1537م على سكان تاجوراء مراد أغا ، الذي كان مقاتلا باسلا ؛ أصله من صقلية ودخل في الإسلام ،وقد استطاع الثبات في وجه فرسان القديس يوحنا ، ومضايقتهم ،رغم أنه عجز عن فتح مدينة طرابلس ، فتمركز بمدينة تاجوراء وقام بتحصينها [4] . استطاع مراد أغا أن يجعل من تاجوراء مدينة صغيرة ، ومحصنة ، وقد عمل على تقريب المواطنين المحليين بفضل مرونة سياسته [5].وقد بنى مراد أغا مدرسة وجامعا كبيرا ، وأعطى طابعا عثمانيا لكل تحركاته ؛ خاصة عندما أخبر الباب العالي بخط سياسته مطلعا إياه على مرامي السياسة المالطية في مدينة طرابلس ، وملتمسا المساعدة لإنقاذ أهالي مدينة طرابلس الغرب[6] .

توفي خير الدين بربروس في سنة 1547م ،وخلفه في الجهاد البحري تلميذه ومعاونه درغوث

رايس ،الذي اشتهر ببسالته وشجاعته في محاربة الإسبان في البحر المتوسط حتى سموه بالشيطان [7] .

- الفتح العثماني لطرابلس والحاقها في سنة 1551م:

كان رد الخلافة العثمانية سريعا وحاسما ، على تهديم الإسبان المهدية ، واسترقاق أهلها [1]، خاصة بعدما أحاط درغوث رايس السلطان سليمان القانوني

---

[1] Charles Feraud. L : op.cit, p 36, 37.

[2] ايتوري روسي : المرجع السابق ، ص 63 .
[3] محمد بن خليل غلبون الطرابلسي : المرجع السابق ، ص 93 .
[4] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص 130 .
[5] أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي : المرجع السابق ، ص 189 .
[6] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 75 .
[7] أحمد بن الحسين النائب الأنصاري : المرجع السابق ، ص 42 .

بالخطر الإسباني، وخطر فرسان القديس يوحنا على الوجود العثماني في المغرب الإسلامي ، خاصة وأن الدولة العثمانية كانت تدرك حقيقة الوضع الداخلي للإيالات المغربية ، ولمرامي السياسة الإسبانية . لذلك قرر السلطان سليمان القانوني إرسال حملة لاسترجاع طرابلس الغرب[2] . ظهرت قوة بحرية ضخمة أمام السواحل الإيطالية في شهر أوت سنة 1551م ، فهاجمت جزيرة مالطة ، وتمكنت من نهب جزيرة جوزو وأسر المسلمون خمسة آلاف مسيحي[3]. وقد كان الأسطول العثماني مكونا من مائة وعشرين سفينة شراعية [4] ، بينما تذهب مصادر أخرى إلى مائة وخمسين سفينة عثمانية [5]، وقد أسندت قيادة الأسطول العثماني إلى سنان باشا ؛ القائد العام للأسطول العثماني ، يسانده درغوث رايس ، وصالح بك حاكم رودس ، توجهت القوة البحرية العثمانية إلى السواحل الإيطالية ، ثم مضت إلى مالطة ، ثم توجهت إلى مدينة طرابلس . فوصلت الحملة في 04 أوت سنة 1551م إلى مدينة طرابلس الغرب وحاصرها العثمانيون لمدة عشرة أيام ، حيث أصبح سقوط المدينة أكيدا [6] .طلب قائد الأسطول العثماني سنان باشا من الحامية المالطية تسليم القلعة ، لكن قائد الحامية جاسباري فاليس Gaspari Vallis رفض الاستسلام[7].وقد دافعت الحامية المالطية بشجاعة عن مواقعها لكن ظروف النصر كانت لصالح العثمانيين؛ فالحصار أثّر على معنويات الجنود المسيحيين ، خاصة وأن المنطق الاستراتيجي ، الذي كان يتمتع به العثمانيون في التموين، والاستعدادات ، وكسب الأنصار ، وتجنيد المواطنين خلق جبهة إسلامية قوية متحالفة[8]وفتحت القلعة ومدينة طرابلس أبوابها للعثمانيين في 14 أوت من سنة 1551م.

المحاضرة الثالثة:

أوضاع الإمارة الحفصية بتونس

ضعف الدولة الحفصية وبداية الاحتلال الإسباني لسواحلها

تولى أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود (1494م-1526م) الحكم في تونس ، لكنه جاء في آخر أيام الدولة الحفصية ، تميزت فترة حكمه بعدم الاستقرار ، بسبب حروبه مع القبائل العربية ، فهزموه في عدة معارك ، وخرجت

---

[1] أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي : المرجع السابق ، ص 189 .
[2] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص77 .
[3] ايتوري روسي : المرجع السابق ، ص 75 .
[4] أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي : المرجع السابق ، ص 189 .
[6] Ernest Mercier : op.cit, p 73.
[7] جون .وولف : المرجع السابق ، ص 68 .
[8] ايتوري روسي : المرجع السابق ، ص 76 .
[9] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 77 .

في عهده عدة مناطق عن سلطة الدولة الحفصية ؛ مثل مدينة الجزائر ، التي استولى عليها الأتراك (الإخوة بربروس) ، ومدينتي بجاية ، وطرابلس اللتان احتلهما الإسبان 916 هـ / 1510 م [1]. كما تعرضت جزيرة جربة لحملة إسبانية بقيادة الكونت بيدرو نافارو، في سنة 917 هـ / 1511م ، لكنها فشلت [2]. لقد كانت العائلة الحفصية ما تزال تحكم في القسم الشرقي من بلاد المغرب ، لكنها ضعيفة غير قادرة عن الدفاع عن نفسها، أو صد الهجومات التي تتعرض لها [3] .

ومهما يكن من تلك الأوضاع التي ميزت الدولة الحفصية ، فقد بدأت بوادر تغيير جديدة في الساحل الشرقي من بلاد المغرب مع مطلع القرن 10هـ / 16م ؛ متمثلة في الاحتلال الإسباني للسواحل التونسية ، وبداية وصول الأتراك العثمانيون إلى تونس .

2- مجيء الإخوة بربروس إلى تونس وأثره على علاقاتها مع إسبانيا :

في عهد السلطان أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي ، أتى عروج بأسطوله إلى جزيرة جربة التونسية ، فهادى السلطان الحفصي بتحف ، وحسان من الجواري مما غنم ، فوقع ذلك من السلطان أبي عبد الله موقعا حسنا ، واستأذنه في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة . فأذن له على شرط أن يدفع إليه خمس ما يغنمه ، فرضي عروج بذلك ، وسافر إلى جزيرة جربة [4]. وذكر هايدو أن عروج جاء إلى حلق الوادي ، واتصل بالسلطان الحفصي في تونس في ربيع سنة 1504 م ، وطلب منه الإذن للإقامة بأسطوله [5] .

التقى خير الدين بأخيه عروج في جزيرة جربة ، بعد أن جاءها خير الدين ، واستقر الأخوان في مدينة تونس ، بعد أن قدّما هدية إلى سلطانها أبي عبد الله . وواصل الإخوة نشاطهم البحري ، واكتسبوا شهرة كبيرة في حوض البحر الأبيض المتوسط ؛ بفضل الشجاعة التي كانوا يتميزون بها، والتي أظهروها في نشاطهم ضد السواحل الإيطالية خاصة . فقد تمكن الإخوة من الاستيلاء على ثلاث سفن محملة بالغنائم ، بعد رحلة دامت عشرين يوما ، ثم عادوا بها إلى تونس ، ووزعوا جزءا هاما منها على فقراء المدينة [1] .

استمر الإخوة عروج وخير الدين في نشاطهم البحري في حوض البحر المتوسط ؛ ضد السواحل الإسبانية ، والمسيحية خلال سنوات 1510م و1511م، ووصلوا

---

[1] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج1 ، ص 241 .

[2] شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية**،ترجمة مزالي محمد وبن سلامة البشير ،ط2،الدار التونسية للنشر ،ج2،تونس 1983 ، ص 324 .

[3] جون وولف : المرجع السابق ، ص 23 .

[4] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج2 ، ص 10 .

[5] Haédo : op.cit, p 6.

[1] مجهول : المصدر السابق ، ص 15 .

بالقرب من السواحل الإيطالية ، حتى ذاع صيتهم في تونس ، ولدى المسلمين ، وفي البلاد المسيحية الأوربية ، وأطلق عليهم الأوربيون لقب (بربروس) [2] .

وقد أورد شارل أندري جوليان عن نشاط الإخوة بربروس في تونس ، ما ذكره في كتابه :((ذاع صيتهم بين المسلمين من سنة 1504م إلى 1510م ، لما اشتهروا به من سطو على مراكب النصارى ، وخاصة الإسبانية منها ، وبفضل ما حققه عروج وإخوته من إنقاذ لآلاف الموريسك ، ونقلهم إلى بلاد البربر ، تقاطر عليه المغامرون الراغبون في الغنيمة ؛ بالمئات للانضمام إليه والخضوع لإمرته ، فاستغل الأمير الحفصي ذلك بمهارة ، ورغبة في الربح ؛ فمنحه رخصة للتمون في مراسيه ، وأسند له حكم جزيرة جربة ، التي أصبحت قاعدة لعشرة ، أو إثني عشر من مراكب

عمارته)) [3]. ومهما كان من قول المصادر حول بداية نشاط الإخوة بربروس في تونس ، أوحول مجيئهم إلى الى الحوض الغربي للمتوسط ، فإن ذلك كان بداية لنشاطهم البحري لتحرير المواقع المغربية الإسلامية من الاحتلال الإسباني المسيحي .

3- محاولة الإخوة بربروس تحرير بجاية الحفصية من الإسبان :

كانت المحاولة الأولى لتحرير مدينة بجاية من الاحتلال الإسباني في سنة 1512م [4] ، وقد ذكر ابن أبي الضياف ؛ أن سكان مدينة بجاية قد طلبوا النجدة من عروج لتحرير مدينتهم ؛ فقد أرسل سلطانها الحفصي إلى عروج يطلب مساعدته على تحرير بجاية من يد الإسبان . ((فكاتبه العلماء ، والأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذ مدينتهم من العدو ، فتوجه لها ، ومعه أخوه عروج ، وحاصرها بأسطوله)) [1]. ويتفق شارل جوليان معه في ذلك حيث ذكر :((ففي سنة 1512م حاول عروج الاستحواذ على بجاية ،استجابة لنداء الوالي الحفصي المطرود ، ولكنه لم يستطع مواصلة الحصار)) [2]. أما صاحب الغزوات فقد أورد :((وقد كان سمع بأن بجاية أخذها النصارى من أيدي المسلمين ، فظهر له أن يغزوها ...)) [3] .

انطلق خير الدين وعروج لنجدة مدينة بجاية ؛ بقوة بحرية مكونة من إثني عشر سفينة على متنها ألف تركي ، وانضم إليهم الآلاف من سكان المناطق الجبلية ، بقيادة السلطان عبد الرحمان المخلوع[4]. وبعد محاصرته للمدينة ، قام عروج

---

[2]Haédo : op.cit, p 8.

[3] شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ص 326 .

[4] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 24 .

[1] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج2 ، ص 10 .

[2] شارل أندي جوليان : المرجع السابق ، ص 326 .

[3] مجهول : المصدر السابق ، ص 17 .

[4]De Grammont : op.cit, p p18, 19.

بهجوم بري على رأس قوة برية ، لكن بسبب قوة التحصينات الإسبانية ، وقوة مدفعيتها حال دون نجاح المحاولة . مما اضطر الإخوة بربروس إلى الانسحاب إلى تونس ، بعد أن بترت ذراع عروج اليسرى ، بسبب قذيفة أصابته[5] .

أعاد عروج المحاولة مرة أخرى ، لتحرير مدينة بجاية في شهر أوت من سنة 1514م ؛ حيث حاصرها من جهتي البر ، والبحر على رأس قوة قدرت بعشرين ألف رجل، كما سانده سكان القبائل، وبعد حصار دام ثلاثة أشهر ، كادت المحاولة أن تنجح لولا نفاذ الذخيرة ، والبارود لعروج ، وبعد أن رفض السلطان الحفصي محمد بن الحسن ، تزويده بالإمدادات التي طلبها ،خوفا على ملكه[6]. فاضطر عروج إلى الانسحاب إلى مدينة جيجل ، وهو ما أورده صاحب الغزوات بقوله :((وكانوا قد فرغ عليهما البارود ، فوجه خير الدين ، وأخوه عروج إلى سلطان تونس رسلا برسم إعانتهما بالبارود ، وغيره من آلات الحرب ، فدب إليه الحسد ، والعياذ بالله ودخلت أفكار سودائية، ونزعات شيطانية ، فامتنع عن إسعافهما بما طلباه ، فسمع بذلك المجاهدون ، وخير الدين وأخوه، فتغيرت قلوبهم عليه ، وحق لهم ذلك))[7]. بعد زيادة صيت الإخوة بربروس في حوض البحر الأبيض المتوسط ، بدأ السلطان الحفصي محمد بن الحسن يحقد عليهم ، ويكن العداء لهم ، وللعثمانيين ، فبدأ الخلاف بين الطرفين ، وقد ذكرت بعض المصادر أن الأسرة الحفصية الحاكمة في تونس في هذه الفترة ، كانت تتزعم العداء ضد خير الدين ، وأخوه عروج ، وارتبطت مع الملك الإسباني شارلكان ، وأصبحت تابعة له ، وهذا ما استغله شارلكان لإبعاد الإخوة بربروس عن تونس وعن سواحل بلاد المغرب [1].

استغل شارلكان أوضاع الدولة الحفصية للسيطرة على حكامها ، فقد شهدت حالات من التراجع ، والضعف ، خاصة بعد أن توفي السلطان الحفصي محمد بن الحسن ، الذي ترك عددا كبيرا من الأولاد ، حيث توفي السلطان محمد في سنة 932 هـ/1526م ، وكان قد أوصى بالخلافة لأصغر أبنائه مولاي الحسن [2].

4- ولاية الحسن الحفصي في سنة 1526م وتبعيته للإسبان :

بويع الحسن الحفصي في يوم وفاة أبيه ؛ يوم الخميس 25 ربيع الثاني من سنة 932 هـ/ 1526م، ساءت سيرة الحسن الحفصي بين الناس ،واضطربت عليه البلاد ، وخرجت عن طاعته ؛ فقد انحصر نفوذ السلطان حوالي سنة 1530م في الشمال الغربي من البلاد التونسية (الحالية) ، كما انفصلت المدن النائية مثل : سوسة ،

---

[5]Haédo : op.cit, p p13, 14.

[6] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج2 ، ص 11 .

[7] مجهول : المصدر السابق ، ص 26 .

[1] سامح التر : المرجع السابق ، ص 109 .

[2] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج1 ، ص 242 .

والقيروان ، وعنابة ، أما بقية الجهات فقد استعاد سكانها خاصة القبائل استقلالهم عن السلطة المركزية [3].

وقد أورد ابن أبي دينار بعض التفاصيل حول ذلك الوضع ، الذي كانت تعيشه البلاد التونسية

في هذه الفترة، بقوله : ((وقد خرجت عن طاعته مدينة سوسة ؛ فقام فيها صهره القليعي ، وقام عليه في القيروان الشيخ عرفة ، وهو من قبيلة الشابيين . وفي أيامه كانت قسنطينة في أيدي الترك ، وفي أيامه تغلبت الأعراب على جل البلاد ، وكانت الشوكة في أولاد سعيد ، لأنهم استقلوا بالبلاد ، وهادنهم السلطان الحسن بستين ألف دينار على)) [4] .

لقد كانت تونس تعيش اضطرابات ، وخلافات بين أمرائها على الحكم ؛ فقد كان السلطان الحسن الحفصي غير محبوب من طرف الرعية ، فقد قام بقتل إخوته للانفراد ، ولم ينج منهم من أحد سوى الرشيد ، الذي لجأ إلى خير الدين بربروس . ومما ذكره الدمشقي في أخبار الدول : ((وكان محمد بن الحسن منشغلا باللهو، ومهملا لأمور الملك ، وترك خمسة وأربعين ذكرا ، خلفه منهم الحسن ، فقتل إخوته ، ولم ينج منهم إلا الرشيد ، وعبد المؤمن لغيبتهما ، واشتغل مثل أبيه بالخمور ، والفجور ، فمالت عنه الأمة إلى الرشيد)) [1] .

بينما ذهبت المصادر الغربية في أمر ولاية الحسن الحفصي : ((إن محمد بن الحسن الحفصي ترك عددا من الأولاد ، ولكنهم كانوا جميعا فاسقين لدرجة أنه لم يهتد إلى من سيخلفه منهم ، وأخيرا استقر رأيه على مولاي الحسن ، الذي كان أصغرهم ، والذي كان من نسل أميرة عربية ، وقد أمل والده أن الأقارب سيؤيدون هذا الإبن الشاب ، وعندما جلس على العرش ؛ قام بقتل كل إخوته ، سوى أمير شاب حفصي واحد وهو الرشيد [2]. إن آخر ممثلي الحفصيين الضعاف ؛ كانوا قد وضعوا أنفسهم تحت الحماية الإسبانية للنجاة بأنفسهم [3] .

ومن جهة أخرى كانت الفرصة مواتية لأتراك الجزائر ، والدولة العثمانية للسيطرة على تونس ، التي كانت تمثل موقعا استراتجيا هاما في حوض البحر

---

[3] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 64 ، 65 .

[4] ابن أبي دينار الرعيني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**،ط1،المطبعة التونسية ،تونس1870 ، ص 152 ، 153 .

[1] نقلا عن توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 229 .

[2]Alphonse Rousseau : **Annales Tunisiennes ou aperçu sur la Régence de Tunis**, édition Bouslama, Tunis 1980, p 13.

[3] أندريه رايمون : **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** ، ترجمة : لطيف فرج ، ط2 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة 1991 ، ص 21 .

المتوسط ، قبل أن تسقط بيد الإسبان ، الذين كانوا يريدونها لوقف توسع العثمانيين ، ولم يتردد خير الدين في تنظيم حملة على عليها [4] .

5- إتباع خير الدين تونس للدولة العثمانية سنة 1534م :

كان خير الدين يركز اهتمامه على تونس ، بسبب ضعف الحفصيين والخلافات الداخلية ، التي

تمزق الأسرة الحفصية ، كما كان لتونس أهمية استراتجية كبيرة ؛ لإشرافها على المضيق الصقلي ، بحيث تسمح له السيطرة عليها في تهديد ، أو قطع المواصلات بين حوضي البحر المتوسط الشرقي ، والغربي . وكان خير الدين يعرف كره السكان التونسيون لسلطانهم الحسن الحفصي ، بسبب طغيانه وفسقه ، فقدكان له عيون في البلاط الحفصي يمدونه بأنباء البلاد[5] .

لجأ الأمير الرشيد إلى خير الدين بربروس ، فوجد فيه هذا الأخير فرصة ؛ فاصطحبه معه إلى استانبول ، وتمكن من إقناع السلطان العثماني سليمان القانوني ، بمهاجمة تونس ، وفتحها ؛ خاصة وأن فتحها يمكن الدولة العثمانية من بسط نفوذها على شمال إفريقيا[6]. وقد ذكر الدمشقي في أخبار الدول :((ولجأ الرشيد إلى خير الدين صاحب الجزائر ، واستعان به على حرب أخيه ، فشكاه الحسن إلى سلطانه سليمان ، فاستقدمه ، وأمره باستصحاب الرشيد ليمسكه عنده ، لكن خير الدين لما وفد عليه زين له احتلال تونس، ليتمكن في البحر ،وعرفه سخط الأمة على الحسن ، فأذن له)) [1]. إن الدور الذي سيلعبه الرشيد أخو مولاي الحسن الحفصي ، سيمكن خير الدين من تحقيق هدفه ، إزاء ذلك أعطى الرشيد أهمية خاصة ، وخصص له معاشا محترما ، ومنح له حق الاستقرار في استانبول ، وبعد أن أتم خير الدين إعداد الأسطول . زوده السلطان العثماني سليمان القانوني بثمانية آلاف جندي إنكشاري ، وثمانمائة قطعة ذهبية ، ثم أذن له بالتحرك باتجاه الشمال الإفريقي ، لاحتلال تونس ، وطرد الإسبان منها بصورة نهائية [2] .

وصل خير الدين بأسطوله إلى بنزرت في 15 أوت سنة 1534م ، وعندما علم مولاي الحسن بذلك ، انطلق يجول شوارع مدينة تونس يطلب نجدة الأهالي ، لكن الشعب التونسي كان ناقما عليه؛ فلم يستجب لندائه ، وفي اليوم الموالي دخل خير الدين حلق الوادي دون عناء ، وبعدها توجه إلى مدينة تونس ، حيث فتحت له أبوابها واستقبله أهلها ، الذين كانوا يعتقدون أنه أحضر معه الأمير الرشيد لينصبه

---

(4) صالح عباد : **الجزائر خلال العهد العثماني(1830-1519)**،دار هومة للطباعة والنشروالتوزيع،الجزائر 2005 ، ص 62

(5) محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 33 .

(6) سامح التر : المرجع السابق ، ص 110 .

(1) نقلا عن ، مبارك بن محمد الميلي : **تاريخ الجزائر في القديمة والحديث**،تقديم وتصحيح الميلي محمد،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984،ج2 ، ص 414 .

(2) سامح التر : المرجع السابق ، ص 110 .

على العرش ، لكن خير الدين كان ينوي إلحاق تونس بالخلافة العثمانية مباشرة ، فلما علم الأهالي بذلك ؛ إتصلوا بمولاي الحسن ، وطلبوا منه العودة إلى تونس ، ووعدوه بالمساعدة على طرد الأتراك [3].

لقد أورد مارمول باعتباره من المصادر الهامة ؛ المعاصرة لتلك الفترة بعض التفاصيل عن كيفية استيلاء خير الدين على تونس ، بقوله : ((ذهب بربروس (يقصد خير الدين) إلى تونس ، ومعه تسعة آلاف جندي ، على متن ستون سفينة حربية ، ثم استولى على القلعة ، ولما علم الأهالي أن الكلام يدور حول سليمان ، وبربروس ، وأن الرشيد بقي بالقسطنطينية ، وانكشفت الخديعة ، أرسلوا على وجه السرعة في طلب الحسن ، ثم حملوا السلاح ، وبدأوا يقاتلون الأتراك ، ويعاملونهم معاملة العدو . لكن بربروس أمر فرسانه بشن الغارات عليهم ، فاضطروا للاستسلام ، وقبول الولاء للسلطان الأعظم ، وتحالف بربروس مع الأعراب ، واستعملهم للاستيلاء على بعض المدن مثل : القيروان ، أما مولاي الحسن ففر إلى حلفائه من القبائل العربية)) [1] .

تشجع مولاي الحسن ، وخرج إلى تونس يرافقه أربعة آلاف فارس ، وبعد مواجهات عنيفة بين الطرفين ، كانت الغلبة في البداية لمولاي الحسن ن فاضطر خير الدين بربروس إلى طلب إمدادات جديدة ؛ تمثلت في ألف وثمانمائة مقاتل ، مزودين بأسلحة نارية ، فأرغم مولاي الحسن على الفرار ؛ بعدما قتل من رجاله ثلاثمائة جندي ، أما الأهالي، فأعلنوا ولاءهم لخير الدين [2] .

ثم توجه مولاي الحسن إلى مدينة القيروان ، حيث جمع حوالي الخمسة عشر ألف جندي ، وما إن سمع به خير الدين ، حتى جمع بدوره خمسة عشر ألف جندي ؛ مزودين بالمدفعية ، ونقلها باتجاه مولاي الحسن ، الذي فر تحت نيران المدفعية ، وأعلن التونسيون ولاء الطاعة للسلطان العثماني سليمان القانوني ، بينما فر السلطان الحفصي مولاي للإسبان [3] .

ولقد أورد ابن أبي الضياف بعض التفاصيل عن سير المعركة بين الطرفين ، وعن عوامل تفوق خير الدين على مولاي الحسن الحفصي ، بقوله : ((ثم إن السلطان الحسن داخل أشياخ العرب في الثورة على خير الدين ، فأجابوه ، وجاهروا بالثورة والعصيان ، والتفوا عليه حول القيروان ، فخرج لهم خير الدين بقوة العدة وكثير العدد ، واستصحاب المدافع على العجلات ، ولم تكن معروفة يومئذ في المغرب . فطاشت عقولهم ، ورأوا ما لا قبل لهم به ، فولوا منهزمين ،

---

[3]Elie de la Primaudie**: Document inédites sur l histoire de l Occupation Espagnole en Afrique (1506-1574)**, publiers par De M .le Maréchal de Mac .Maon Ducde Magenta, extrait de la R.A.A Jourdan librairie –editeur .Alger 1875, p 345 , 346 .

[1] مارمول : المصدر السابق ، ج3 ، ص 31 .

[2]Elie de la Primaudie: op.cit, pp 345, 346.

[3] سامح التر : المرجع السابق ، ص 113 .

وأثخن فيهم بالقتل ، والأسر ، فبادروا بطاعة السلطان العثماني ، وطلبوا الأمان ، فأمنهم وكتب لهم بذلك ، ورجعوا لأوطانهم . ولما رأى السلطان الحسن أن لا قدرة له على مقاومة خير الدين ، لوي عنانه إلى الصبنيول ، فركب إليه البحر مستصرخا ، وأخبره أن البلدان ، والبوادي من أهل
المملكة معه ، وبذل له ما أرضاه في العاجل ، والآجل))[4] .

كما أورد صاحب الغزوات رواية مشابهة ، وبذلك تكون المصادر الإسلامية تجمع على أن الانتصار ، الذي حققه خير على حساب السلطان الحفصي ، وتمكنه من تونس مرده إلى استغلاله للأوضاع الداخلية للبلاد من جهة ، وللتفوق العسكري من جهة أخرى ، فقد امتلك خير الدين أسلحة أكثر فعالية ؛ وهي المدفعية ، أما مولاي الحسن والقبائل المتحالفة معه ، فقد اعتمدت أسلحة أقل جدوى ، وأقل تطور [1].

بعد انتهاء المعارك بين مولاي الحسن الحفصي ، وخير الدين بربروس ، أعلن السكان التونسيون ولاءهم لخير الدين ، واعترفوا به ملكا عليهم . لقد استطاع خير الدين بربروس أن يجمع القبائل التونسية حوله ، وأن يضع تونس بموقعها الاستراتيجي تحت سلطته ، وبذلك خضعت تونس إلى جانب الجزائر للخلافة العثمانية ؛ وصار خير الدين ، والدولة العثمانية بحكم موقعها الاستراتيجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ؛ تشكل خطرا كبيرا على الوجود الإسباني في شمال أفريقيا ، لذلك عجل الملك شارلكان بحملته على تونس [2] .

ـ حملة شارلكان على تونس سنة 1535م وفرض الحماية الإسبانية :

بعد أن فشلت محاولات الإسبان للسيطرة على الجزائر ، وجد الملك شارلكان الفرصة للتوجه إلى تونس ، وقد كانت الدول الأوربية تخشى بشدة من توحيد بلاد المغرب ؛ تحت سلطة دولة إسلامية كبيرة ، مثل الدولة العثمانية [3] . وخاصة بعد أن حقق خير الدين انتصارا عظيما في تونس ؛ بحكم موقعها الاستراتيجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وألحقها بالخلافة العثمانية ، فاعتبر الملك الإسباني شارلكان ذلك تهديدا للإمبراطورية الإسبانية ، ولمواقعها في صقلية ،ونابولي ، ولمصالحها في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، والسيطرة على الطرق التجارية فيه ، وهو ما اعتبره شارلكان تهديدا موجها ضد إمبراطوريته [4] .

---

[4] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج2 ، ص 13 .

[1] مجهول : المصدر السابق ، ص 94 .

[2] Braudel Fernand : **Les Espagnols en Algérie, 1492-1792, dans Histoire et Historiens de l'Algérie**, Coll. du Centenaire, Paris, p 353.

[3] إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر : **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر** ، 2ج ، دار المريخ ، المملكة العربية السعودية 1993 ، ج2 ،ص 120 .

[4] محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص 34 .

وجاءت هذه الحملة الإسبانية على تونس ، بناءا على عدة أسباب كان من بينها ؛ استنجاد السلطان مولاي الحسن الحفصي بالملك الإسباني شارلكان .

-استنجاد مولاي الحسن بالإسبان :

ما كان استيلاء خير الدين على مدينة تونس الهامة ،ليرضي الإسبان ،وسائر دويلات إيطاليا ، والبابا نفسه ، ولذلك صمم شارلكان على إقصائه منها ، وزاد تصميمه لما إتصل به الحسن الحفصي المخلوع [1]. فقد وجد شارلكان في الخطاب ، الذي وجهه له السلطان الحفصي ، إثر نصيحة قدمها له علج جنوي كان صديقا لمولاي الحسن ؛ واسمه اكسيما أو خيما Ximea [2]، فرصة مناسبة تمكنه من الاستيلاء على تونس ، وطرد العثمانيين منها ، وقد أورد السلطان الحفصي خطابه إلى شرلكان يستعطفه ، ويتعهد له بالتبعية مقابل إعادة ملكه ، والقضاء على بربروس[3].

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 29 .

[2] Alphonse Rousseau : **AnnalesTunisiennes ou aperçu sur la régences du tunis**, editeur Bouslama, tunis 1989, p 15.

[3] مجهول : المصدر السابق ، ص 95 .

المحاضرة الرابعة:

الأسرة الحسينية (عهد حسين بن علي) (1705-1740):

بدأ القرن الثامن عشر الميلادي في تونس بتغير نظام الحكم ،والذي أدى إلى وصول أسرة جديدة إلى السلطة ؛هي الأسرة الحسينية .ففي شهر جوان من سنة 1702م قام أحد الضباط الأتراك ،الذي يدعى إبراهيم الشريف بعد أن رجع من إسطنبول ،بالقضاء على الأسرة المرادية[1] ووضع حدا لحكمها ،وسرعان ما أخذ مقاليد الحكم ،وجمع السلطات في يده ،لكنه وجد معارضة من طرف الأهالي ،الذين ثاروا ضده .ومن جهة أخرى تورط إبراهيم الشريف في حرب مع الجزائريين انتهت بهزيمته في شهر جويلية من سنة 1705م [2].

ونتيجة لتلك الأحداث العصيبة ،التي مرت بها تونس ؛اتفق علماء البلاد وأهل الحل والعقد في تونس على تنصيب حسين بن علي بايا على البلاد [3].خوفا من غزو خارجي يشنه عساكر داي الجزائر ،وتهديد داخلي بسبب انتشار موجة من الاضطرابات الداخلية .امتلك حسين بن علي[4] خبرة واسعة في تسيير البلاد ،فقد كان كاهية لإبراهيم الشريف سابقا ،كما أنه كرغلي الأصل ،وله ارتباطات كثيرة بمختلف الأوساط في تونس لذلك تم اختياره [5].

سلك حسين بن علي سياسة زادت في تدعيم احتكار النفوذ لصالح مؤسسة الباي على حساب المؤسسات الأخرى ،فأخضع الداي إلى مشيئته ،وكانت أبرز علامة على ذلك ؛عندما منع الداي من الحكم بالإعدام ،أو تنفيذه دون استشارته .وباشر مهاما عديدة بنفسه ،منها المهام القضائية في المحكمة ،وتعتبر سياسة القضاء رمز الحكم الصالح .وكذلك قيادة المحلة التي عن طريقها يعيد تجديد الولاء لشخصه في دواخل البلاد ،ويتفقد أحوال رعيته [1].ولقد فضل حسين بن علي كي يسوس البلاد أن يستعين برجال لم يتقلبوا سابقا في المناصب ،ويدينون له بكل

---

[1] مؤسس الأسرة هو مراد كورسو وهو من أصل كرسيكي ،أسر صغيرا اشتراه رمضان باي ،ورباه وجعله على قيادة المحلة ،وبعد موت رمضان باي ،تقلد منصب الباي ،وجعله وراثيا في الأسرة .ينظر :محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص ص 77-80.

[2] محمد الهادي الشريف : المرجع نفسه ،ص ص 80-81.

[3] أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق،ج2 ، ص 103 .

[4]مؤسس البيت الحسيني من أصل تركي من مدينة كندية بجزيرة كريت ،تدرج في عدة مناصب رفيعة في ظل البايات المراديين ، منها خزندار ،وأغا الصبايحية ،تمت له البيعة في 15 جويلية سنة 1705م ،قتله ابن أخيه علي باشا الذي ثار عليه في سنة 1740م.ينظر : الصغير بن يوسف : **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي** ،تحقيق أحمد الطويلي ،4ج ، ط1 ، المطبعة العصرية،تونس 1998 ،ج1 ص ص 18-26 .وحسن حسني عبد الوهاب : **خلاصة تاريخ تونس** ،تقديم وتحقيق :حمادي الساحلي ، ط3 ،دار الجنوب للنشر ،تونس 1993م ،ص ص 125-126.

[5] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص ص 80-81.

[1] عبد الحميد هنية : **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر** ، منشورات تبر الزمان ، تونس 2012 ، ص ص 164 .

شيء ،من مماليك وكوارغلية ،ومن رجال ليس لهم شأن كبير ،فأخرجهم من حياة الخمول ورفع منزلتهم .كما استعان بالأعيان من ذوي الثراء ؛أصحاب المال فأشركهم على نطاق واسع في استغلال موارد البلاد ، فتكونت منذ تلك الفترة عائلات من اللزامة ،تتوارث المنصب ابنا بعد جد ،وأسر من الوكلاء يديرون أملاك البايلك [2].

عرفت البلاد التونسية في عهد الباي حسين بن علي استقرارا سياسيا و رخاء اقتصاديا منذ توليه السلطة ،وإلى غاية سنة 1728م ،بسبب ملاءمة الظروف الطبيعية ،وكذلك الظروف العالمية ، بالإضافة إلى سياسة الطبقة الحاكمة اتجاه الرعايا .أما على الصعيد الخارجي فقد ربطت إيالة تونس في عهد حسين بن علي علاقات سلمية مع بعض الدول الأوربية .وكانت هذه الدول تعرف إلى حدود سنة 1715م فقرا مزمنا في المواد الغذائية ،لاسيما وأن الظروف المناخية كانت بها جد سيئة في بداية القرن 18م ؛بسبب موجة البرد الكبيرة التي اجتاحتها .كفرنسا التي عقد معها في 1711م معاهدة تجارية تصدر بمقتضاها الشركة الفرنسية كميات من الحبوب .بالإضافة إلى معاهدة مع إنجلترا في 1716م ،ومع إسبانيا في 1720م ،وإمبراطورية النمسا في 1725م ،وهولندا في سنة 1728م[3].

أما القرصنة فقد تواصلت في عهده بنسق ضعيف ،وستعرف تقهقرا خاصة بداية من سنة 1725م ؛إثر معاهدة السلم التي عقدتها الدولة العثمانية مع النمسا ،وكان على الإيالات المغاربية احترامها ؛فانتهت بذلك العمليات القرصنية ،التي كانت تستهدف الدويلات الإيطالية التابعة لدولة الهابسبورغ النمساوية [4].

لقد حاول حسين بن علي أن يضع حدا للتنافس بين الطامعين في الحكم ؛فجعل الولاية وراثية في بيته يتداولها الأكبر فالأكبر .ورغم ذلك فقد ثار عليه ابن أخيه علي باشا في سنة 1728م ،فنشبت الحرب بينه وبين وابن أخيه علي باشا ،الذي كان قد أوصى له بالحكم من بعده ،لكنه بعد أن أنجب أولادا تراجع في رأيه ،وألغى ما كان من قبل .وحاول إبعاد علي باشا عن الحكم ،ففر هذا الأخير إلى الجزائر وأعلن عليه الحرب .وقد استمرت هذه الحرب الأهلية في تونس عدة سنوات ، وانتهى الأمر في الأخير بمقتل حسين باي بالقيروان في سنة 1740م [1].وانتصر علي باشا بفضل المساعدة ،التي لقيها من داي الجزائر .وقد عرفت هذه المرحلة

---

[2] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص ص 80-81.

[3] عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص ص 164-165 .

[4] المرجع نفسه .

[1] شوقي عطا الله الجمل:**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** ،ط1 ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1977 ،ص 110.

من تاريخ تونس عند الإخباريين التونسيين بالفتنة الباشية الحسينية [2]،والتي استمرت تلك الفتنة في بعض المناطق الجنوبية حتى نهاية القرن 18م[3].

-فترة حكم علي باشا (1740-1756) وسياسته:

لقد حكم علي باشا (1740-1756) البلاد بصرامة ،فانفرد بالسلطة مع ابنيه يونس ومحمد ، وكان يصدر الأحكام بسرعة .وقد أدت تلك السياسة إلى اندلاع عدة ثورات داخلية ،مثل ثورة عساكر الانكشارية في سنوات 1743م و1752م ،وانتفاضة قبيلة الهمامة الكبيرة في سنة 1750م ، بالإضافة إلى تخلي الأهالي عنه في سنة 1755م .أما على الصعيد الخارجي فكانت سياسته حازمة اتجاه الأجانب ،من أجل مراقبة منتوجات البلاد والحفاظ عليها حتى لا يتمكن التجار الأجانب من استغلال ثروات البلاد [4].

ومن جهة أخرى كانت الفترة التي حكم فيها علي باشا (1740-1756) مليئة بالحروب بين أفراد الأسرة الحسينية وبتدخل دايات الجزائر في شؤون تونس ،منها الحرب بين علي باشا وابنه يونس باي ،الذي خرج عن طاعته في سنة 1752م ،ثم الحرب بينه وبين أبناء حسين بن علي ،الذين استنجدوا بداي الجزائر ،فأمدهم بجيش زحف على مدينة الكاف في سنة 1746م ،لكن هذه الحملة فشلت ،ثم كانت الحملة الثانية بعد عشر سنوات ،وبتأييد من داي الجزائر مرة أخرى على تونس العاصمة ،فقتل فيها علي باشا في سنة 1756م [5].وبذلك ساهم الجزائريون في قتل علي باشا بعد أن كانوا هم من نصره على حسين بن علي سابقا ،وأعادوا أبناء حسين بن علي للسلطة في تونس .

-عودة ابني حسين بن علي للحكم في تونس بمساعدة داي الجزائر:

استرجع ابنا حسين بن علي عرشهم ،واعترفا بسيادة داي الجزائر عليهم ،مستأنفين دفع الإتاوة السنوية ،والتي قدرها داي الجزائر ،فباشر محمد الرشيد (1756-1759) مهامه ،لكن الظروف لم تكن مناسبة ؛بسبب عمليات النهب التي لحقت بتونس ،إثر استباحة مدينة تونس لعساكر أتراك الجزائر ، فكان الثمن باهضا ،ومضت سنوات قبل أن يستتب الأمن ،فكانت هناك محاولات قتل عديدة استهدفت محمد وعلي إبني حسين بن علي :في أكتوبر من سنة 1756م ،وفي

---

[2] للاطلاع أكثر عن الحرب الأهلية في تونس بين الباي حسين بن علي وعلي باشا خلال الفترة (1728-1740) .ينظر: فاطمة بن سليمان: **قراءة الإخباريين التونسيين للفتنة الباشية الحسينية** ، في ك ت ،مجلة العلوم الإنسانية ،العدد 164 ،تونس 1993 ،ص ص 57-85. وينظر: مليكة الشيخ :**العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف أ/د عمار بن خروف ،المركز الجامعي غرداية 2011-2012 ،ص 19 .

[3] محمد ضيف الله : **نوافذ على تاريخ نفزاوة** ، المغاربية للطباعة ، تونس 2008 ، ص 97 .

[4] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص 58.

[5] شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق ، ص 111.

أفريل وجوان وجويلية من سنة 1757م ،وفيفري من سنة 1759م .لقد أصبحت الدولة الحسينية ضعيفة وذات هيبة متدنية .وقد كانت مدة محمد باي كانت قصيرة حيث توفي في سنة 1759م ،ومع بداية ولاية علي باي بن حسين (1782-1759) ،اندلعت ثورة إسماعيل بن يونس حفيد علي باشا في جبل وسلات ،لكن الباي تمكن من إخمادها في سنة 1762م [1] .

-سياسة الوفاق وإعادة بناء الدولة في عهد علي باي (1782-1759):

عرفت البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،وبداية القرن الموالي شيئا من النمو ،والازدهار الاقتصادي .خاصة الفترة الممتدة بين سنتي 1765 و1776م ،فقد كانت عشرية رخاء ووفرة إنتاج ،لم تعرف مثيلا لها منذ مدة طويلة .وكانت هذه الظرفية المناخية والدولية ملائمة . فقد كانت فترة استقرار سياسي في الإيالة التونسية ،ومن جهة أخرى عرفت البلاد التونسية خلال عهد علي باي نموا ديمغرافيا كبير شمل ثلاثة أجيال تقريبا ،في المدن ،والأرياف على حد سواء ،وتجسد ذلك في المدن في اتساع المجال العمراني ،أما في الأرياف ،وخاصة في منطقة زراعة الحبوب في الشمال،فقد توسعت الأراضي الزراعية ،وتم استصلاح ،وإحياء مساحات كبيرة لم تكن مستغلة قبل هذه الفترة في تونس[2].

إن سياسة علي باي على الصعيد الداخلي ؛كانت على قدر كبير من المرونة والليبيرالية ؛فقد تخلى البايليك عن قسم من اختصاصاته ،وعن التدخل في الحياة الاقتصادية ،وترك الباب مفتوحا أمام الأعيان ،الذين استغلوا البلاد لصالحهم ،وتعاملوا مع البايليك من جهة ،ومع التجار الأجانب من جهة أخرى .أما على الصعيد الخارجي فإن سياسة علي باي ورجاله المقربين مثل الوزير مصطفى خوجة ،والوزير حمودة بن العزيز ،تفسر بتغلغل الرأسمالية الأوربية داخل البلاد التونسية ،وبتكامل مصالحها وتعايشها مع مصالح البايليك وأبرز رجاله ،وبما ربطته من علاقات متينة مع كبار التجار التونسيين ،ومع كبار صانعي الشاشية المصدرين لمنتوجهم ،ومع منتجي ومصدري الحبوب [1].

ومما يدل على المكانة الهامة التي وصلت إليها تونس في عهد علي باي هو فشل الحملة الفرنسية على تونس في سنة 1769م ،ثم تقديم المعونة العسكرية للدولة العثمانية في سنة 1771م في حربها ضد روسيا ،فقد جهز علي باي خمس مراكب حربية وشحنها بالرجال والعتاد ،وأرسلها إلى مقر الخلافة العثمانية [2].

إن نجاح سياسة علي باي يعود إلى الظروف الاقتصادية المواتية على المستوى الخارجي ؛أي على مستوى حوض البحر المتوسط ،وعلى المستوى

---

[1] عبد الحميد هنية : **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر** ،منشورات تبر الزمان،تونس 2012 ، ص ص 183-186 .

[2] المرجع نفسه ، ص 187 .

[1] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص 87.

[2] حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ،ص ص 129-130.

الداخلي ،وذلك من خلال ما لقيته سياسة علي باي من مؤازرة ،ودعم من طرف فئات اجتماعية لها تأثيرها البعيد في المجتمع التونسي ،كالعلماء ورجال الدين على اختلافهم ،فقد كان الباي يوليهم عناية كبيرة .بالإضافة إلى القواد واللزامة ،وغيرهم من الشركاء في البايليك ،فقد كانوا يطورون أعمالهم التجارية ويكتسبون القوة ،ويؤسسون سلالات ساهمت في اقتصاد تونس ؛مثل عائلة بن عياد ،والجلولي ،والمرابط وغيرهم .يضاف إلى هؤلاء شيوخ الأرياف الذين قربهم النظام إليه ومنحهم امتيازات كبيرة ،وبالتالي ضمن ولاءهم [3].

لقد ساهم السلم الداخلي الذي نجح علي باي في تحقيقه ،وتوفر الظروف المناخية الملائمة والاستقرار الديمغرافي ،الذي عرفته تونس منذ سنة 1760م ،في تنشيط الحركة الاقتصادية .وقد تدعمت هذه الظروف بالإجراءات التي اتخذها علي باي لدفع حركة الإنتاج بعد تعثرها ،فقد قلَّل من احتكار الدولة للأنشطة الاقتصادية ،وألغى نظام المشترى ؛ لكنه في المقابل استمر في العمل بنظام التسكرة ،كما أصدر قانون العفو الجبائي .فتوسعت المساحات المزروعة ،وانخفضت أسعار الحبوب في الأسواق الداخلية منذ سنة 1766م ،فرفع الباي الحذر على تصدير الحبوب في سنة 1769م [4].

عرفت البلاد التونسية خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1765و1776 ازدهارا فلاحيا كبيرا فقد ارتفعت كميات الإنتاج الزراعي ،يضاف إلى ذلك حيوية التجارة الخارجية بصورة عامة ،وتجارة الحبوب بصورة خاصة كان طلب الدول الأوربية للحبوب خلال هذه الفترة هاما ومتزايدا على الأقل إلى سنة 1776م .وكانت أول نتيجة لكثرة الطلب الخارجي للحبوب ؛ارتفاع أسعارها عند التصدير خلال تلك الفترة ،كما صدرت الحبوب إلى بلدان الشرق مثل :طرابلس والإسكندرية ،لكن أوروبا كانت المستورد الأساسي للحبوب التونسية [1].

وتوسعت شبكة المنخرطين في الأنشطة الاقتصادية ،وقد لعب كل من مصطفى خوجة وحمودة بن عبد العزيز ،دورا بارزا في بلورة المشروع الاقتصادي ،الذي تبلورت ملامحه منذ بداية ستينات القرن 18م ،ومن أبرز خصائصه هو توجهه نحو الانفتاح على الممارسات الاقتصادية في حوض البحر المتوسط في تلك الفترة ،كما شملت اهتمامات الاعتناء بالجانب الاجتماعي والقضائي .وقد استمر تأثير خيارات علي باي خلال الفترة الأولى لحكم حمودة باشا (1782-1792) [2].لقد كان عهد علي باي من أحسن الفترات استقرارا ورخاء للإيالة التونسية ،منذ عهد أبيه حسين بن علي ،كما أنه وقبل أن يتوفى علي باي

---

[3] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص 88.

[4] سلوى هويدي : **علي باي وإدارته لأزمات (1782-1759)**، في المجلة التاريخية المغربية ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،تونس 2012،العدد 147 ،ص ص 419-421.

[1] عبد الحميد هنية : المرجع السابق ، ص ص 189-191 .

[2] المرجع نفسه .

عمل تسهيل الأمور لابنه حمودة باشا ،فقد سوى قضية توريث الحكم في أيام حياته ،فضمن له بداية من الاستقرار السياسي ،كما ترك له وضعا اقتصاديا مريحا .

-عهد حمودة باشا الحسيني وسياسته (1782-1814) :

لما كبر علي باي في السن أشرك ابنه حمودة في الحكم منذ سنة 1777م/1191ه ،وراسل الدولة العثمانية طالبا موافقتها على تقديم ابنه للولاية من بعده ،فوافقت على طلبه ووافته بالخلعة والفرمان ،وكان ذلك يوم الأحد 9 من شهر فيفري ،وتوفي علي باي بعد ذلك بقليل[3].وجددت له البيعة بقصر باردو ،يوم وفاة والده يوم الجمعة 31 ماي من سنة 1782م ،الموافق 18 من جمادي الثانية من سنة 1196ه [4].

تولى حمودة باشا الحكم بعد وفاة أبيه في ظروف أمنية ملائمة ،دون أن يثير هذا الحدث فتنة بين محمود باي وأخيه حمودة باشا ،فلقد أظهر علي باي حنكة سياسية ؛عندما هيأ الظروف الملائمة لبيعة ابنه ،وهو على قيد الحياة ،متجنبا بذلك ما وقع لأبيه حسين بن علي ،وفوّت بذلك على داي الجزائر فرصة التدخل في شؤون البلاد لتنصيب باي موال له .لقد ورث حمودة باشا وضعا أمنيا مريحا ،جعله يعمل في ظروف أفضل من أبيه ؛لاسيما فيما يتعلق بانخراطه في مشروع عسكري ضخم ينوي إنجازه ،وقد تزامن ذلك مع اتباعه لسياسة داخلية حازمة مكنته من توفير المداخيل الضرورية لذلك[1].

وقد تمكن حمودة باشا من مواجهة البندقية (1784-1792) ،كما تمكن من القضاء على ثورة علي برغل الجزائري وإعادة العرش للقرمانليين ،واسترجاع جزيرة جربة في سنة 1795م .كما خاض حربين ضد الجزائر إلا أنه انهزم في المرة الأولى في سنة 1803م،ولم يتخلص من هيمنة داي الجزائر إلا بعد انتصاره على الجيش الجزائري في المرة الثانية في سنة 1807م ،كما تمكن من إخماد ثورة الجنود الأتراك في سنة 1811م بفضل مساندة الجنود الأهالي التونسيين[2].

إن سياسة حمودة باشا أقيمت على تحرير تونس من التسلط الأجنبي ،وإبراز سيادة البلاد واستقلالها .وقد وفّق الباي في بلوغ أهدافه إلى حد بعيد ؛بفضل تصميمه وحزمه من جهة ،وبفضل تنسيقه بين معطيات سياسته الخارجية وإنجازاتها ،ومعطيات سياسته الداخلية وإنجازاتها من جهة أخرى .وبذلك ضمن خدمة الميدانين بتكامل يضمن النجاح والتخطيط والتنفيذ .فقد كان الباي يهيئ

---

[3] حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ،ص 130.

[4] أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق ، ص 11 .

[1] نبيهة السلطاني العبيدي : **العوامل المؤثرة في سياسة حمودة باشا العسكرية** ، في **ك.ت** ،العدد 205-206، تونس 2008 ، ص ص 120-121 .

[3] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص ص 90-91.

أسباب القوة لجعل تونس دولة ذات سيادة ،فقد عمل على مصالحة الدول الأجنبية ،وعقد معها معاهدات ،وفي نفس الوقت كان يدعم إمكاناته العسكرية [3].

وقد بلغت سياسة حمودة باشا الخارجية نجاحا لم يحظ به سابقوه من البايات ؛ويتضح ذلك في الحد من سلطة الدولة العثمانية عليه حدا حقيقيا ،وبذلك استقلت تونس سياسيا عن إسطنبول . بالإضافة إلى نيل استقلاله بالقوة عن التسلط الجزائري ،الذي بقيت خاضعة له طيلة قرنين من الزمن، والأهم من ذلك أن حمودة باشا بإنجازاته في المجالين الداخلي والخارجي ،أسهم في تغيير نظرة الأهالي التونسيين للدولة التونسية [4].كما تمكن من تمتين علاقاته مع الدول الأوربية ،خاصة فرنسا [5].

تستنتج أن السياسي في تونس خلال القرن 18م، قد تميّز بالتباين والتنوع بين مختلف مراحله ، والتي من أهمها :مرحلة حكم الباي حسين بن علي (1705-1740) ،وابنه علي باي (1759-1782) ،وحفيده حمودة باشا (1782-1814)، مما أدى إلى تنوع علاقات إيالة تونس الخارجية السياسية ، والتجارية خاصة مع دول أوربا الغرب المتوسطية .

---

[3] رشاد الإمام : **سياسة حمودة الحسيني باشا في المجال التجاري** ،في المجلة التاريخية المغربية ،تونس 1974،العدد2، ص 112 .

[4]المرجع نفسه .

[5] الحبيب ثامر: **هذه تونس** ،تقديم وتحقيق :حمادي الساحلي والرشيد إدريس ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ، ص 110.

المحاضرة الخامسة:

الوضع السياسي في الجزائر خلال القرن 18م :

علاقة الجزائر بالدولة العثمانية :

أدت الجزائر دورا بطوليا في الحوض الغربي من المتوسط ،وذلك من خلال مواجهتها للهجمة الصليبية الإيبيرية منذ مطلع القرن السادس عشر ،كما استطاعت أن ترجح ميزان القوى لصالحها في صراعها مع القوى الأوربية المسيحية [1].وعلى صعيد آخر كانت الجزائر في الفترة الأولى من العهد العثماني ،وإلى غاية انتهاء مرحلة الباشوات ؛ولاية تعين الأستانة حاكمها ، وعلى الرغم من ذلك يمكن القول بأن العلاقات بين الجزائر ،والدولة العثمانية ،لم تكن علاقة مستعمر بمستعمر ،بل كان الرابط الوحيد بينهما ؛هو الدين والمصالح المشتركة [2].

صاحب تسلم الدايات السلطة منذ سنة 1671م في الجزائر ،ضعف ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية ،مع بداية القرن الثامن عشر ،ففي عهد الداي علي شاوش (1710-1718) رفض السماح للباشا الجديد القادم لولاية الجزائر بالنزول إلى البر ،وأجبره على أن يقفل راجعا ،وأرسل سفارة إلى السلطان العثماني محملة بالهدايا في سنة 1711م ،عرضت على الحكومة العثمانية المصاعب الناجمة عن تعدد السلطات ،ونجحت حجج السفارة في إقناع المسؤولين العثمانيين ،وتقرر جمع وظيفتي الباشا والداي لشخص واحد منذ ذلك الوقت [3].وقد حاولت الدولة العثمانية أن ترسل باشا من إسطنبول إلى إيالة الجزائر في عهد الداي عبدي باشا (1724-1734) ،ولكن تم رفضه ورد على نفس السفينة ،التي وصل عليها في سنة 1729م [4].

---

[1] عائشة غطاس : **نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني** ،في **م.د.ت** ، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،،العدد5 ، الجزائر 1988 ،ص 116 .

[2] محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث** ، ط2 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1975 ،ص ص 68-69 .

[3] أرجمنت كوران: **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي** ،ترجمة :عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس 1970 ، ص 26 .

[4] محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** ، ط2، مكتبة دار الشرق ، بيروت 1979 ، ص 70 .

وقد انحصرت مظاهر التبعية في تقديم الهدايا ،وتبادل الرسائل بين الداي والسلطان العثماني في المناسبات دليلا على الولاء .فقد صارت تبعية الجزائر للدولة العثمانية عبارة عن تصديق السلطان لتولية الداي الجديد كل سنتين أو ثلاثة ،بالإضافة إلى تقديم المساعدة من طرف الأسطول البحري الجزائري إلى الأسطول العثماني في حروبه كلما تطلب ذلك ،وفي المقابل كان دايات الجزائر يجلبون الجنود الأتراك من جزر البحر المتوسط والأناضول ،ووصل استقلال دايات الجزائر إلى الحرية في توقيع المعاهدات مع الدول الأجنبية مباشرة دون الرجوع للدولة العثمانية [1].

ورغم ذلك فإن الدايات لم يتنكروا لسيادة السلطان مادامت السيادة اسمية ؛لا تقيد حريتهم في التصرف .فقد كان الأمر يقتصر على أن يرسل سفيرا يبلغ السلطان انتخابه لهذا المنصب ،ويتلقى منه قفطان الشرف وفرمانا بتسميته باشا .كما كان الدايات يرسلون وفودا للتهنئة لدى تولي سلطان جديد ،والسلاطين يقبلون بالأمر الواقع ما داموا لا يملكون القوة اللازمة لفرض كلمتهم .وقد كانت الجزائر تشترك في حروب الدولة العثمانية ،فترسل قوة بحرية إلى شرق المتوسط ؛مثل ما حدث في الحرب الروسية العثمانية خلال (1774-1768) .وكانت تتلقى جنودا انكشاريين ،بالإضافة إلى المعونات المالية لتقوية البحرية الجزائرية [2].

مكانة الجزائر وقوتها البحرية في غرب المتوسط:

وفي عهد الدايات أخذت تشكيلات إيالة الجزائر شكلها الأخير ،وصار يوجد إلى جانب الداي ديوان هو مجلس الشورى ،وهو مؤلف من موظفين منهم :المسؤول عن الخزينة والناظر لشؤون المالية ،والمكلف بالشؤون البحرية وهو وكيل الحرج ،أو وزير الحربية [3].إلى جانب خوجة الخيل والبيت مالجي ،إلى جانب ذلك الأغا وهو قائد الجيش ،وشيخ الإسلام والمفتيان الحنفي والمالكي .وكانت الجزائر مقسمة إلى أربعة بايليكات ،على رأس كل واحدة باي يعينه الداي ،يساعده قواد ومشايخ في البايليك ،إلى جانب قوات من الجنود الانكشارية ،والقبائل الموالية المعروفة بقبائل المخزن ،التي كانت معفاة من الضرائب ،مقابل مهمة تأمين البايليك [4].

أما بالنسبة للقوة البحرية الجزائرية ،فإنها تراجعت مع بداية القرن الثامن عشر ،فقد أشارت بعض المصادر أنه في سنة 1725م بلغ عدد السفن الراسية في ميناء الجزائر 24 سفينة ؛تحتوي كل واحدة من 10 إلى 52 مدفعا ،وبعد أربع وعشرين سنة أي في سنة 1749م انخفض عددهم إلى 17 سفينة تحتوي كل واحدة

---

[1] حنيفي هلايلي :**أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،ط1 ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر 2008 ،ص 129 .

[2] محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 72 .

[3] أرجمنت كوران: المرجع السابق ، ص 28 .

[4] محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص 72-74 .

من 3 إلى 26 مدفعا .وهذه السفن تسع منها للحكومة وثمانية سفن ملك شخصي لبعض الأفراد ،وأصبح السوق المغطى مهجورا ،ولم يعد يسمع صوت الدلالين الذين كانوا يبيعون الغنائم والأسرى ،وفي السابق كانت الجزائر مدينة عز وبهاء وحيوية ،وكان ذهب المسيحيين يتدفق عليها بكميات لا تحصى ،والآن أصبحت خزينتها كئيبة وفارغة [1].

فمنذ نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ،بدأ انحطاط البحرية الجزائرية ؛فقد تزايدت قوة البحرية الأوربية ،وصارت عمليات الانتقام أوسع وأكثر ،وحدَّت المعاهدات مع الدول من نشاط البحرية الجزائرية ،وقلت الغنائم ،وهبط مستوى البحارة الجزائريين ،وهبط عدد السفن الجزائرية هبوطا كبيرا [2].

ولكن الجزائر تمكنت مع نهاية القرن الثامن عشر من استكمال استقلالها في سنة 1792م باسترجاع مدينة وهران من الإسبان ،بعد صراع طويل دام حوالي ثلاثة قرون .وكان لذلك الحادث تأثير كبير على كل الميادين السياسية ،والاقتصادية وحتى الاجتماعية . كما انتعشت عمليات القرصنة من جديد بفضل الرايس حميدو ؛وتمكنت البحرية الجزائرية من دخول المحيط الأطلسي في سنة 1793م ،مستغلة انشغال الدول الأوربية بحروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية ،فاضطرت الولايات المتحدة لعقد معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1795م [3].

علاقات الجزائر مع تونس:

تميزت علاقات الجزائر مع مع تونس ،مع بداية القرن 18م ؛بتحالف مراد بك باي تونس في سنة 1700م مع مولاي إسماعيل سلطان المغرب ، وبالتفاهم مع باشا طرابلس الغرب ،اخترقوا الحدود الجزائرية ،وهزموا باي قسنطينة وفرضوا حصارا شديدا على المدينة ،فثار انكشارية الجزائر عند وصول الأخبار ،فخاف الداي حسن وقدم استقالته ، انتخب الأغا مصطفى دايا للجزائر ،فتوجه الداي مصطفى بقواته إلى مراد بك ،وتمكن من هزيمته أسر الجزائريون قرابة الألف شخص .كما تمكن الداي مصطفى من هزيمة مولاي إسماعيل على الحدود الغربية .وفي سنة 1702م وقبل إبراهيم الشريف ،الذي تولى الحكم في تونس بعد مقتل مراد بك التبعية للجزائر ،ودفع الضرائب السنوية [4].

زحف الداي مصطفى باتجاه تونس في سنة 1705م ،فاستولى على مدينة الكاف ونهبها ،ثم توجه إلى تونس العاصمة فحاصرها ،خاف التونسيون على بلادهم فعرضوا الصلح على الداي مصطفى مقابل مبلغ من المال قدره مائة وخمسون ألف ريال ،لكنه رفض لذلك قرر التونسيون الدفاع عن بلادهم ،وفي هذه الأثناء

[1] عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص 414 .
[2] محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 92 .
[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص ص 70-71 .
[4] عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص 452-453 .

هاجم الفرنسيون الجزائر وقتلوا أكثر من ثمانمائة شخص ،فاضطر الداي مصطفى للتفاوض ،لكن التونسيين رفضوا دفع الأموال ،فاستمر الجزائريون في فرض الحصار على تونس ،لكنهم اضطروا للانسحاب وفي طريق العودة بدأ التونسيون وسكان القبائل في مهاجمة الجيش الانكشاري الجزائري ،الذي تعرض لخسائر كبيرة ،وقتل الداي مصطفى من طرف الانكشارية ؛بسبب الهزيمة التي لحقت بالجزائريين في تونس ،وانتخب حسن خوجة دايا للجزائر[1].وستبدأ مرحلة أخرى من العلاقات بين تونس وتونس ما بعد سنة 1705م ؛أي مع وصول الأسرة الحسينية إلى الحكم ، وستكون البداية مع حسين بن علي .

وتشير بعض المصادر إلى أنه وبعد مبايعة حسين بن علي في سنة 1705م ،قدم الجزائريون في 40000 مقاتل ،وخيموا بضواحي العاصمة .وقد كان الجيش التونسي لا يتجاوز 18000 مقاتل ، فسعى حسين بن علي إلى عقد الصلح ،ولكنه لم ينجح ،فدارت الحرب بين الطرفين ،وفي الأخير أقلع الجزائريون ورجعوا إلى بلادهم [2].وفي سنة 1706م فك داي الجزائر أسر إبراهيم الشريف ،وبعث به ضد حسين باي ،فاضطر هذا الأخير إلى التوجه إلى الدولة العثمانية ؛ليجعل حكمه شرعيا ،وهو ما تحقق له في جوان من سنة 1706م ؛حيث منحه السلطان العثماني فرمان التولية [3].

وفي سنة 1735مه تدخل داي الجزائر مرة أخرى في شؤون تونس ،بعد أن فر علي باشا إلى الجزائر واستعان بدايها ضد عمه حسين بن علي ،الذي قتل سنة 1740مه ،ونصب علي باشا الذي تنكر لداي الجزائر ،وامتنع عن دفع الضريبة له ،مما أدى إلى قطع العلاقات بينهما .فقد كانت العلاقات جدا متوترة منذ السنوات الأولى ،التي اعتلى فيها علي باشا الحكم ،نظرا إلى أنه لم يقبل الخضوع كليا لداي الجزائر ؛لأنه كان حريصا على الاستقلال ،وفي حدود سنة 1745م توقف عن دفع الإتاوة السنوية لداي الجزائر .فجهز داي الجزائر حملتين ضده [4].ففي سنة 1746م تحركت حملة من الجزائر باتجاه تونس من أجل إعادة أبناء حسين بن علي للحكم ،بعد أن استنجدوا بداي الجزائر ،لكن الحملة فشلت أمام أسوار مدينة الكاف .وفي سنة 1756م جاءت الحملة الثانية للجزائر على تونس ،فتم القضاء على علي باشا ،وأعاد الجزائريون أبناء حسين بن علي للسلطة ،ونهبت مدينتا الكاف وتونس ،واعترف علي باي بالتبعية لداي الجزائر ،ودفع الضريبة السنوية [1].

اعترف أبناء حسين بن علي بسيادة داي الجزائر عليهم ،بعد استرجاع عرشهم في تونس ، واستأنفوا دفع الإتاوة السنوية ،وبيع قطعان الأغنام والبقر

---

[1] عزيز سامح الترّ: المرجع السابق، ص ص 454-455 .

[2] حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص 126 .

[3] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق ، ص 82 .

[4] عبد الحميد هنية : المرجع السابق، ص 165 .

[1] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص ص 82-86 .

،التي تبعث سنويا من الجزائر إلى النواحي الغربية من الإيالة التونسية ،لكي تباع هناك بصورة قسرية ،وقد تطول مدة البيع أحيانا ،؛تحت إشراف مبعوث الباي [2].فقد كان وضع تونس اتجاه الجزائر ما بعد سنة 1756م ،لا يقل عن الدولة التابعة أو المستعمرة .فقد استغل داي الجزائر ظرف إعادة أبناء حسين بن علي للحكم ،وفرض على علي باي عدة شروط منها :دفع أموال كثيرة تتعدى إلى نصف مدخول الباي نفسه ،وتحطيم حصن الكاف المنيع القريب من حدود البلدين ،وإرسال كميات كبيرة من زيت الزيتون والأقمشة للجزائر .كما تحتم على باي تونس اتباع رغبة الجزائر في علاقاته الخارجية مع الدول ؛وخاصة في عقد الاتفاقيات .ولهذا كانت الجزائر ترفض عقد أية معاهدة دولة تعاقدت مع تونس قبل الاتصال بالجزائر ،وهذا ما حصل مع روسيا في سنة 1777م ،باعتبار الجزائر أن تونس تابعة سياسيا لها ،وحتى على الحدود لا يجب أن ترتفع راية تونس عن راية الجزائر [3].

استمرت تبعية تونس للجزائر ففي سنة 1781م فرض داي الجزائر على الباي التونسي دفع مبلغ 750000 ريال ،ولكنه دفع منها 200000 ريال فقط ،ووجب عليه إرسال كميات من الزيت للجزائر ؛ قدرت بحمولتين بحريتين[4].وقد استمر حمودة باشا الحسيني في مهادنة داي الجزائر ،لكن العلاقات تأزمت بين الجزائر وتونس ،ومن مظاهر ذلك هو منع حمودة باشا حمولتين للزيت كان يقدمهم والده لمقامات الصالحين في الجزائر ،ورغم شكاوي داي الجزائر للسلطان العثماني إلا أن حمودة باشا لم يرضخ ،لذلك أوعز الداي لباي قسنطينة من أجل إثارة المشاكل مع حمودة باشا في سنة 1783م ، فطالب هذا الأخير من حمودة باشا بمبالغ مالية كبيرة ،كتعويض عن الخسائر الناجمة عن نزوح قبيلة تونسية داخل قسنطينة منذ خمسة عشر سنة ،لكن حمودة باشا ارسل لداي الجزائر وهدد بقطع العلاقات مع الجزائر ،وعند اندلاع الحرب بين تونس والبندقية في سنة 1784م حاول باي قسنطينة الضغط على حمودة باشا ،فأرسل الباي بهدية إلى داي الجزائر تجنبا للدخول في حربين بحرية وبرية . وقد تواصلت العمليات الاستفزازية من الجزائر ؛فقد رست سفينة حربية جزائرية في ميناء تونس ، وأوقفت أي نشاط بالميناء ،وعطلت التجارة التونسية الخارجية لمدة شهرين ،لكن الباي حمودة باشا لم يتخذ أي إجراء ضدها [1].

لقد انتهج حمودة باشا سياسة الخضوع والتبعية لداي الجزائر ،في حين أنه كان يدبر في تأليف جيش عتيد في مستوفي المعدات الحربية للهجوم على الجزائر

---

[2] عبد الحميد هنية : المرجع السابق ،ص 183 .

[3] رشاد الإمام : المرجع السابق، ص ص 409-410 .وينظر :سلوى هويدي :المقال السابق ،ص ص 403-425 .

[4] عبد الحميد هنية: المرجع السابق، ص 194 .

[1] رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص ص 410-417 .وينظر :حنيفي هلايلي :المرجع السابق ،ص 51 .

[2].وقبل تحقيق ذلك فقد كان تأثير الجزائر واضحا على تونس في عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية ،فقد امتنع حمودة باشا على الدخول في حلف مع بريطانيا والبرتغال ضد فرنسا ،إلا إذا وافق داي الجزائر ،فقد ظهر تأثير الجزائر على تونس في الاعتراف بعلم الجمهورية الفرنسية ذي الثلاثة الوان في سنة 1794م ،وضغط الجزائر على تونس في سنة 1796م لعقد اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية ،بالإضافة إلى مظاهر أخرى تدل على التبعية خلال الفترة (1794-1805)م كإقامة دار للضيافة للوفود الجزائرية ،والتكفل بالحجيج ،والقراصنة الجزائريين ،وفي سنة 1795م انتصر حمودة باشا على علي برغل في طرابلس ،وفي سنة 1799م تمكن من قتل عدوه ومنافسه الأمير يونس المسنود من طرف داي الجزائر .ومنذ ذلك أعلن عدم تبعيته لداي الجزائر [3].ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقات بين تونس والجزائر تتوتر ،وبدأ حمودة باشا يتنصل من تبعيته لداي الجزائر ،الذي بدأ يبحث على ذرائع للحرب.

وقد قاد الجزائريون حملة ضد تونس في سنة 1800م هزم فيها الجيش التونسي ،ثم حملة أخرى في سنة 1807م عندما امتنع حمودة باشا عن دفع الضريبة السنوية ،وكانت خسائر التونسيين كبيرة ،ولم
تتمكن تونس من التحرر من سيطرة دايات الجزائر ،إلا بعد الحملة الثانية في سنة 1807م [4].وكانت تلك الحملة الأخيرة بين تونس والجزائر .

المحاضرة السادسة:

الوضع السياسي في طرابلس خلال القرن 18م:

وصول الأسرة القرمانلية[1]. للحكم في طرابلس :

تعتبر سنة 1711م من السنوات الهامة في تاريخ إيالة طرابلس الغرب خلال القرن الثامن عشر ففيها تولى القرمانليون الحكم تجمع أعيان طرابلس حول أحمد القرمانلي وعرضوا عليه الولاية خلفا للوالي العثماني خليل باشا ،الذي فر من

---

[2] حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 131 .

[3] رشاد الإمام : المرجع السابق ، ص ص 420 .

[4] نبيهة السلطاني العبيدي:**العوامل المؤثرة في سياسة حمودة باشا العسكرية**،في الكراسات التونسية ،تونس 2008،عدد 205و206، ص 125 .وينظر :حنيفي هلايلي :المرجع السابق ،ص 50 .

[1] أصلهم من قرمان بالأناضول قدم جدهم إلى طرابلس أيام درغوث رايس ،أي منذ ارتباط طرابلس بالدولة العثمانية ،وقد اختلطوا بالأهالي بالمصاهرة .ينظر شارل فيرو: **الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي** ،ترجمة وتحقيق وتقديم : محمد عبد الكريم الوافي ، ط3، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي 1994 ،ص 263 .

المدينة بسبب اضطراب الأوضاع فيها .فاستطاع أحمد القرمانلي القضاء على القوة البحرية التي أرسلتها الدولة العثمانية لإعادة الوالي خليل باشا ،وقتل هذا الأخير ،وأعلن ولاءه للسلطان العثماني وأرسل له الهدايا ،فقبل بذلك ومنحه لقب الباشا [2].

قام أحمد باشا القرمانلي بالقضاء على حركات التمرد والعصيان ،ولم يبذل جهدا كبيرا في ذلك بسبب وقوف الأهالي إلى جانبه .ثم قام بتنظيم شؤون البلاد ،وأمن الطرقات وقضى على اللصوص ، وحصن مدينة طرابلس ورمم أسوارها .حاول أحمد باشا الاستقلال عن الدولة العثمانية ؛فسك النقود وعقد المعاهدات التجارية مع الدول الأجنبية .وقد ساد الرخاء الاقتصادي ،والعدل وقلت الضرائب على الأهالي في عهده .توفي في سنة 1745م بعد أن تنازل لابنه عن الولاية [3].

-طرابلس في عهد محمد باشا القرمانلي (1745-1754) :

تولى محمد باشا القرمانلي الحكم في طرابلس صبيحة اليوم ،الذي دفن فيه والده من سنة 1745م[4].واصل محمد باشا سياسة والده ،فتابع إرسال الهدايا للسلطان العثماني ،الذي اضطر للاعتراف بولايته .فلم تحدث في أيامه اضطرابات داخلية ،فقد كان الجهد الذي بذله والده كافيا لاستتباب الأمن والاستقرار ،وتدين له القبائل بالطاعة والولاء .واهتم محمد باشا بالأسطول فجدد سفنه ومعداته ،وزوده بكل ما يحتاجه [5].

كما تمتعت طرابلس في عهده بعلاقات حسنة مع جيرانها ،بينما شجع القرصنة ضد الدول الأوربية ،فسارعت فرنسا إلى تجديد معاهدة سنة 1727م ،التي كانت عقدتها مع والده ،كما عقد معاهدة سلام مع إنجلترا في سنة 1751م ،و في آخر أيام حكمه ساءت علاقاته مع الدولة العثمانية وتوفي في سنة 1754م [1].

-طرابلس في عهد علي باشا القرمانلي (1754-1795) :

تولى علي باشا الحكم في سنة 1754م كان صغير السن ،ولا يملك الخبرة الكافية ، لذلك استهل الباشا حكمه بالسماح لقراصنته للقيام بغزواتهم البحرية [2].فوقعت عدة مشاكل بينه وبين بعض البلدان الأوربية كالبندقية ،وفرنسا ،التي كانت مرتبطة مع طرابلس بمعاهدات لضمان حرية سفنها ، لكن القراصنة الطرابلسيين لم يحترموا تلك المعاهدات [3].

---

[2] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص 134 .
[3] محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق،ص ص 209-211 .
[4] شارل فيرو: المرجع السابق ،ص 263 .
[5] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص ص 135-136 .
[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص 212 .
[2] شارل فيرو: المرجع السابق ،ص 316 .
[3] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص 136 .

حاول علي باشا تدارك الأمور بعد سنة 1775م ،فعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية وصادر واردات التجارة الخارجية ،وحاول التحكم في زمام الحكم ،لكن الأوضاع ازدادت سوءا بسبب انتشار الأمراض والمجاعات وفتك الطاعون بالبلاد في سنة 1785م ،وعجزت حكومة علي باشا عن مواجهة تلك الأوضاع ،فسادت الفوضى والتناحر بين القبائل .ومن جهة أخرى وقع الخلاف داخل الأسرة القرمانلية بين أبناء علي باشا الثلاثة من أجل انتزاع الحكم من والدهم ، وانقسمت البلاد وتدهورت الأوضاع ،لذلك تدخلت الدولة العثمانية في سنة 1794م [4].

-ضعف القرمانليين ونهاية حكمهم في طرابلس :

أصدرت الدولة العثمانية فرمانا في سنة 1793م يقضي بتعيين علي برغل الجزائري ،واليا على طرابلس الغرب ،وخلع علي باشا القرمانلي ،وعلي برغل الجزائري هو شقيق داي الجزائر حسن ،الذي كانت تربطه علاقات سيئة مع حمودة باشا الحسيني باي تونس ،لذلك فقد منح باي تونس اللجوء للقرمانليين ،ووعدهم بالمساعدة على استرداد عرشهم ، بينما أعلن أهالي مدينة طرابلس ولاءهم لعلي برغل الجزائري واعترفوا له بالطاعة [5].حاول علي برغل إصلاح الأوضاع وتنظيم أمور البلاد ،والقضاء على التمردات ،لكنه فشل في احتلال جزيرة جربة في سنة 1795م ،بعد تدخل باي تونس حمودة باشا الحسيني ،الذي تمكن من هزيمته وطرده من مدينة طرابلس ،وإعادة القرمانليين للحكم[1].

تولى أحمد باشا القرمانلي الحكم في سنة 1795م ،لكن ولايته لم تدم طويلا ،فقد انقلب عليه أخوه يوسف باشا القرمانلي ،واعترفت به الدولة العثمانية واليا على طرابلس في سنة 1796م ،اهتم يوسف باشا بتقوية الأسطول البحري ،وتحصين مدينة طرابلس وإعادة بناء الأسوار وترميم مينائها . وألزم الدول الأجنبية بإعادة عقد الاتفاقيات معه ،ودفع الهدايا والضرائب السنوية من أجل حماية سفنها ،كما كانت له علاقات مع دول إفريقيا جنوب الصحراء .استمرت الأسرة القرمانلية إلى غاية سنة 1835م ،أين تم القضاء عليها من طرف الدولة العثمانية [2].

---

[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص ص 214-217 .
[5] شارل فيرو: المرجع السابق ،ص 355 .
[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص 219 .
[2] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص ص 137-139 .

المحاضرة السابعة:

الوضع السياسي في المغرب خلال القرن 18م:

-عهد المولى إسماعيل (1672-1727) :

تولى المولى إسماعيل حكم المغرب بعد وفاة مولاي الرشيد في سنة 1672م ،وقد كان مطلعا على أحوال أوربا وعاصر ملوكها ،كما كان معجبا بملك فرنسا لويس الرابع عشر ،لذا وصفه معاصروه بأنه لويس الرابع عشر المغرب ،وقد قام المولى إسماعيل بأعمال كثيرة لتوطيد نظام الحكم ، وقضى على المتمردين وحرر العديد من الثغور بفضل الجيش الذي أسسه ،والذي عرف أفراده بعبيد البخاري[1] ، وأبرم عدة معاهدات مع الدول الأوربية الكبرى ،خاصة فرنسا التي بقيت علاقاته معها وطيدة حتى حروب الوراثة الإسبانية (1701-1712)،التي ساهمت في قطع العلاقات بين الطرفين ، واستمر ذلك حتى وفاته ،أما إنجلترا فحلت محل فرنسا ،ودخلت في مفاوضات معه انتهت بتوقيع معاهدة سلام وتجارة في سنة 1721م [2].

أما مع الإيالات المغاربية فقد كان يعمل دائما على التحالف مع تونس ؛لتساعده على ضم منطقة تلمسان إلى ملكه ،ولكي يضمن عدم تدخل الدولة العثمانية ،كان لا يتردد في مجاملة السلطان وتزويده بالهدايا من حين لآخر[3].وفي 1700م قاد المولى إسماعيل حملة عسكرية على الجزائر ،وكان قد اتفق مع التونسيين على الهجوم عليها ،لكن داي الجزائر مصطفى تمكن من هزيمة الطرفين ، بعد أن تحالفت معه جميع القبائل الجزائرية ،جرح المولى إسماعيل

---

[1] أحدث مولاي إسماعيل جيشا من الزنوج جمعه من بقايا عبيد المنصور السعدي ،كان جيشا حديثا منفصلا عن المجتمع،ومرتبطا بالمخزن وبشخص السلطان .نظم هذا الجيش على النمط الانكشاري ،كان هذا الجيش قوة طيعة في عهد مولاي إسماعيل ،لكنه بعد وفاته انقلب إلى عنصر تفكك للسلطة .ينظر :دلندة الأرقش وعبد الحميد الأرقش :**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ،مركز النشر الجامعي ميدياكوم ،تونس2003 ،ص ص 29-30 .

[2] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص ص 84-101 .

[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ،ص 45 .وينظر حنيفي هلايلي :المرجع السابق ،ص ص 63-64 .

وكاد يقتل في المعركة ،وأسر الجزائريون أكثر من ثلاثمائة وخمسين جنديا مغربيا .وستظل العلاقات عدائية بين الطرفين حتى وفاته [4].

-عهد الفوضى والاضطراب (1727-1757):

على إثر وفاة المولى إسماعيل في سنة 1727م ،اجتاحت البلاد سلسلة من الحروب الأهلية نتيجة للنزاع بين أبنائه .وعرف المغرب أخطر أزمة في تاريخه ،فقد تحكم عبيد البخاري في البلاد وسيطروا على مقدراتها السياسية والاقتصادية ،وكان السلاطين ،الذين حكموا البلاد في هذه الفترة وهم من أبناء المولى إسماعيل ،ألعوبة في يد العبيد ،ورغم ذلك فقد ظلت البلاد مخلصة للأسرة العلوية ،ولم تفكر في القضاء عليها [1].

فقد تدخل العبيد في شؤون الدولة ،وأصبح بيدهم الأمر المطلق في البلاد ،وصار أساس تولية الملك هو إرضاء جند العبيد ،فانتشرت الفتن وعم الاضطراب والفوضى .وتعدد تولي الملوك وعزلهم من أبناء المولى إسماعيل ،وعانت البلاد جراء ذلك عمليات النهب والسلب ،والقتل والفتك ، واستمرت الأوضاع هذه طيلة ثلاثين سنة ،كان الولاة والشعب تحت رحمة هذه الطبقة المسلحة ، وستظل السلطة بين أيديهم إلى أن يتولى الحكم مولاي محمد بن عبد الله في سنة 1757م ، فيعيد الأمن للبلاد ويتخلص من العبيد[2].

-المغرب في عهد المولى محمد بن عبد الله (1757-1790):

كان المولى محمد بن عبد الله واليا على مراكش ،قبل أن يصبح سلطانا على المغرب ،فقد عمل على تعمير المدينة ،وأعاد لها مكانتها التجارية ،واتخذ من ميناء أسفي مركزا تجاريا ،استطاع مولاي محمد أن يتمرس في أمور السياسة وإدارة البلاد ،فاكتسب مكانة طيبة بين القبائل .وعند وفاة والده في سنة 1757م بايعه أهل مراكش ،ثم أهل فاس ،ثم اجتمع حوله باقي سكان المغرب ،كما جمع حوله شيوخ الطرق الصوفية ،فتوحدت حوله الجهود ،ووجهت لتوحيد البلاد وتحرير ما تبقى من الجيوب في يد الغزاة المسيحيين،وإعادة بناء ما هدمته الحروب ؛إذ استطاع تحرير ميناء مازغان من احتلال البرتغال في سنة 1769م [3] .

أما في المجال الخارجي فقد أبرم المولى محمد معاهدات تجارية مع دول أوربية ،كهولندا وفرنسا والدانمارك ،كما أبرم معاهدة صداقة ،وتجارة مع الولايات المتحدة في سنة 1786م ،بل توسط بينها وبين إيالتي تونس وطرابلس لإبرام معاهدات معها .وكان على علاقة حسنة مع الرئيس الأمريكي جورج واشنطن،وصاهر شريف مكة وضاعف عدد قوافل الحج[4].كما عقد في سنة 1782م

---

[4] عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص 442-443 . وينظر حنيفي هلايلي :المرجع السابق ،ص 63 .
[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ،ص 104 .
[2] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص 221 .
[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ،ص 46 .
[4] المرجع نفسه ،ص ص 46-47 .

معاهدة سلام مع الدولة العثمانية ،ووطد علاقاته السياسية معها ،وعقد معاهدة سلام وتجارة مع إسبانيا في نفس السنة [1].و يمكن القول بالرغم من أن المغرب لم يكن إيالة عثمانية ،إلا أن علاقاته الخارجية أثرت في علاقات الإيالات المغاربية ومنها تونس .

-المغرب في عهد المولى سليمان (1792-1822):

شهد المغرب بعد وفاة المولى محمد بن عبد الله في سنة 1790م فترة عامين من الاضطرابات والفوضى نتيجة النزاع بين أبنائه على السلطة ،وفي سنة 1792م تمت مبايعة مولاي سليمان ،الذي كانت سياسته الخارجية نابعة من طبيعته للجنوح إلى السلم،فقد تميزت علاقاته بالحسنة اتجاه الجزائر،كما كانت علاقاته مع باي تونس حسنة ،وكان متعاونا معه .أما سياسته اتجاه الدول الأوربية فتميزت بالحذر والخوف ،فحدد إقامة قناصل دولها في طنجة ،كما حد من تحركات الأسطول المغربي
في البحر المتوسط،والمحيط الأطلسي حتى لا يحدث له أي صدام مع الأساطيل الأوربية [2].

---

[1] يحي بوعزيز : **إسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس،** في مجلة الدراسات التاريخية ،معهد التاريخ جامعة الجزائر 1988،عدد04 ،ص 55 .
[2] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ،ص 232 .

فهرس المحاضرات